بهجة القلوب في كيفية إعداد الخطبة والخطيب

أ.د/ حسين محمد محمود عبدالمطلب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

المقدمة

الحمد لله .... والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه

ثم أما بعد :_

فإن علم الخطابة أصبح اليوم علما مستقلاً بذاته له قواعده وأصوله وطرقه ومناهجه ، وله أهمية كبري في دنيا الناس أفرادا وجماعات ، في الحرب والسلم .

ذلك لأن الخطابة هي التي تهذب النفوس الثائرة ، وهي التي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة ، وهي التي تفض المشاكل التي تدور بين الناس ، وهي صوت المظلومين ولسان الحق والهداية .

ومن ثمَّ فإنه يجب علي من يريد أن يمارس الخطابة أن يدرس أصول هذا العلم وقواعده وطرقه ، ومن قواعد هذا العلم طرق إعداد الخطيب وكيفية تحضير الخطبة الذي لم يأخذ حظا وافرا عند كل من تصدي للكتابة في الخطابة وفنونها لهذا ولسببين آخرين هامين سطرت هذا البحث وهما :

السبب الأول :

أن هناك الكثير من أهل التخصص في الدين كخريج أصول الدين ، قد درسوا علم الخطابة وأصولها ، ولكنهم عزفوا عن القيام بها .

السبب الثاني :

أن هناك الكثير ممن لم يتخرجوا من الأزهر ، وليسوا متخصصين في الدين كخريج الكليات العملية كالطب والهندسة وغيرها ، نراهم يصعدون المنابر ويخطبون في المحافل والمناسبات ، ولكنهم لايجيدون أصول وقواعد الخطابة .

وإني منذ زمن بعيد وأنا أفكر في هذا الموضوع وأتساءل لماذا لم يكتب أحد من أهل التخصص وأنا واحد منهم عن كيفية إعداد الخطيب نفسيا وذهنياً ، وأيضا كيفية إعداد وتحضير الخطبة ليستفيد هؤلاء وهؤلاء حتي تؤتي الخطابة ثمارها .

فدعوت الله كثيراً بأن يفتح عليَّ ، وأن يوفقني في كتابة هذا الموضوع ، وبفضله وجـــوده وكرمه سبحانه وتعالي فتح عليَّ بان شرح صدري وانقدح ذهني بموضوع سميته :-

((بهجة القلوب في كيفية إعداد الخطبة والخطيب))

وقد قسمته إلي مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة :_

المبحث الأول :وعنوانه : كيفية إعداد الخطيب وفيه تسعة مطالب :-

المطلب الأول :_ الاستعداد النفسي

المطلب الثاني :_ سعة الثقافة والإطلاع الدائم

المطلب الثالث :_ علم الخطيب بأحوال ونفسيات مخاطبة .

المطلب الرابع :_ خلو الخطيب من العيوب الكلامية .

المطلب الخامس :_ ضبط النفس واحتمال المكارة .

المطلب السادس :_ سرعة البديهة .

المطلب السابع :_ الاعتقاد بصحة مايدعوا .

المطلب الثامن :_ كون الخطيب ذا نفوذ .

المطلب التاسع :_ حسن المظهر وجمال الهندام .

المبحث الثاني :_ كيفية إعداد الخطبة وتحضيرها وفيه ثلاثة مطالب :_

المطلب الأول :_ المقصود بإعداد الخطبة .

المطلب الثاني :_ أسباب الإعداد والتحضير .

المطلب الثالث :_ طرق الإعداد والتحضير .

المبحث الثالث :- عوامل نجاح الخطبة .وفيه خمسة مطالب :-

المطلب الأول :_ حسن اختيار الموضوع .

المطلب الثاني :- وحدة الموضوع .

المطلب الثالث :_ مراعاة قواعد اللغة .

المطلب الرابع :_ عدم السير علي وتيرة واحدة .

المطلب الخامس :_ الإشارات .

وأخيراً أسأل الله تعالي أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ونافعا ومفيدا لكل من قرأه وطالعه.

إنه نعم المولي ونعم النصير .

الخميس الموافق :– ٢٥ من ذي القعدة عام ١٤٣٣هـ

١١ أكتوبر عام ٢٠١٢م.

ماهية الخطابة

للخطابة في اللغة والإصلاح تعريفات كثيرة لا يتباعد بعضها عن بعض ولذا سأقتصر علي بعضها وبخاصة التعريفات التي لها صلة وثيقة بعلم الخطابة .

أولاً : _ معني الخطابة لغة : _

إذ رجعنا إلي المعاجم اللغوية فإننا نلحظ أن معني الخطابة في اللغة :

ينحصر في أمرين هما :_

١ــ " الطلب " جاء في أساس البلاغة : للزمخشري : ومن المجاز : فلان يخطب ، عمل كذا: يطلبه .

٢ــ " المواجهة بالكلام " جاء في " أساس البلاغة " أيضا : خاطبه : أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام .[١]

وقيل هي : المراجعة في الكلام [٢]

وقيل هي : توجيه الكلام نحو الغير للإفهام .[٣]

ثانيا : معني الخطابة في الإصلاح : _

١ــ قيل إنها : ((حدة التصور وقوة التصوير))

بمعني أن الخطيب يملك من شفافية الروح وذكاء العقل ، مايعينه علي تصور ودقائق الحياة والأحياء ، يرصد الكون بعين باصرة ، وبصيرة كاشفة .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري صـ ١١٤ ط دار المعرفة بيروت .
(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني صـ ١٥٠ ط . مصطفي الحلبي .
(٣) فن الخطابة وإعداد الخطيب للشيخ / علي محفوظ صـ ١٣ ط . دار الاعتصام .

وإلي جانب ذلك ، فله قدرة علي تصوير ما وعاه ، ونقله إلي غيره كما فهمـــه ورآه ، في تعبير قوي مؤثر .[١]

٢ــ وقيل إنها " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل علي الاقتناع والاستمالة :

وهذا التعريف يعد عندي تعريفاً جامعا مانعا لأنه احتوي كل جوانب الخطبة وهي :-

١ــ أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور من الناس .

٢ــ أن يكون الحديث بطريقة إلقائية ، وهذا يعني جهارة الصوت وتكييفه باختلاف نبراتـــه ، وتجسيم المعاني التي تتضمنها الخطبة .

٣ــ أن يكون الحديث مقنعا بحيث يشتمل علي أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يـــدعو إليها الحديث .

٤ــ أن يحتوي الحديث علي استمالة الناس وجذب عواطفهم نحو مايدعو إليه .[٢]

إذن هذا التعريف يتضمن عنصرين أساسين للخطبة هما :

الإقناع والاستمالة.

فأي خطبة خلت من عنصر الإقناع الذي يقوم علي الأدلة والبراهين المؤيدة للموضوع الذي تحدث فيه الخطيب يكون هشا وسطحياً لاوزن له ولا تأثير .

وأيضا أي خطبة خلت من عنصر الاستمالة وهي جذب عواطف ومشاعر وأحاسيس المستمع تكون خطبة جافة تجعل الخطيب في واد والمستمع في آخر .

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة للدكتور/ / محمود محمد عمارة صـــ ٩ ط وزارة الأوقاف .

(٢) الخطابة وأعداد الخطيب – د/ عبدالجليل شلبي صـــ ١٣ دار الشروق ط . ٣-١٩٧٧م.

المبحث الأول

كيفية إعداد الخطيب

إن الخطيب ركن أساسي في الخطابة ، وبدونه لايكون للخطابة أي شان ، ولهذا يجب في الخطيب أن تتوافر فيه أمور إذا أراد النجاح لخطبته ، وهذه الأمور جاءت في تسع مطالب:-

المطلب الأول الاستعداد النفسي :-

إن من يريد أن يتصدي لعلم الخطابة ، لابد أولا وقبل كل شيء أن يكون عنده استعداد نفسي لتعلم هذا الفن ، لأن علم الخطابة ليس بالأمر الهّين ، وإنما هو مركب صعب ، لايتحمله ولايطيقه إلا من كان عنده استعداد نفسي وذهني ، ذلك " لأن الخطابة قبل أن تكون علماً واكتساباً فهي استعداد وموهبة صحيح أن العلم ينمي الموهبة ويقويها ويرشد صاحبها إلي الطرق السليمة لتحصيل الخطابة ، ولكنه في نفس الوقت لايخلق من الضعيف عن الكلام العاجز عن البيان خطيبا له وزنه وخطره "[١]

يقول الإمام محمد أبوزهرة " وليس علم الخطابة بدعاً في ذلك ، فعلم النحو لايضمن لمتعلمة أن ينطق بالفصحى مالم يمرس نفسه عليه ، وعلم الأخلاق لايضمن لعارفه سلوكا قويا مالم يرّوض نفسه علي الأخذ به ، وعلم العروض لايكون شاعراً ، وعلم المنطق يسن قانونا لعصمة الذهن ، ولايضمن للعالم به عصمة الذهن مالم يرّوض نفسه عليه رياضة كاملة [٢]

ويقول د/ أحمد محمود مبارك :"ومن ثم نري أن دراسة العلوم النظرية لاتحمل دارسها علي تطبيقها علمياً مالم يكن لديه الاستعداد والموهبة التي يحمل بها نفسه ويروضها علي تطبيق هذه القواعد لتتحول في حياته إلي عمل وسلوك ، وعلم الخطابة واحد من هذه العلوم التي لايستغني دارسها عن الموهبة والاستعداد [٣]

---

(١) دراسات في فن الخطابة د/ أحمد محمود مبارك صـ ٦ .

(٢) الخطابة وأصولها صـ ٩ .

(٣) دراسات في فن الخطابة د/ أحمد مبارك صـ ٦ ، ٧ .

والحقيقة :-

أن هناك علماءً أفذاذاً لهم باع في كل فن من فنون العلوم الإسلامية في الفقه والتفسير والحديث والتوحيد والمنطق والنحو والبلاغة إلا أنه لم يكن عندهم استعداد نفسي لمزاولة فن الخطابة ، وبسبب عدم مزاولتهم لهذا الفن ، جعلهم في مؤخرة الصفوف ، وكان ممن هم أقل منهم علماً بسبب مزاولتهم لعلم الخطابة يتبئوون أعلي المراتب وفي مقدمة الصفوف ، بل وصل ممن يحمل شهادة متوسطة مثل :-

دبلوم تجارة أو صنايع ، بل وأقل من ذلك ممن يمتهنون أعمالا كالسباكة والحدادة والسواقة لكنهم يجيدون علم الخطابة علي أن يكون عضوا في مجلس الشعب أو مجلس الشوري ، وذلك لأن العلم لوحده لايصنع خطيبا إلا إذا كان عنده استعداد للخطابة .

يقول الشيخ / محمد ابوزهرة " ولم أقصد بكتابتي في هذا – أي في الخطابة وأصولها – أن تكون مادة يدرسها الدارس فيكون خطيبا ، فإننا لانعلم أن كتابا يجعل من العيي فصيحا ، ويفك عقدة اللسان فيكون طليقاً ، ويبث في قارئة شعوراً حيا فياضا يجري علي لسانه عبارات قوية تهز الحس ، وتملك النفس

بل قصدت بكتابتي أن تكون مرشدة لمن عنده استعداد للخطابة ويريد أن ينميه ، فهي تنير له السبيل علي هداية ، ويكون علي بينة من أمره ، ولايكون كحاطب ليل [١]

إذن الاستعداد الغريزي أساس مهم فيمن يريد أن يكون خطيباً ، ولكن الاستعداد يحتاج إلي أدوات تنميه وتقويه وهي علي النحو التالي :-

أ. المحاولة :-

يقول الدكتور/ محمود عمارة في مستهل حياتنا كنت إنا وزميلي د/ محمد الأحمدي أبو النور – نجمع أعواد الحطب وبقايا الأثاث القديم في البيت أوالحقل ... ثم نتخيل ذلك أناسا يجلسون بين أيدينا ... وينصتون إلينا ، ويتقدم أحدنا ليقوم فيهم خطيباً ، فإذا انتهي من خطبته ... أخذ الثاني مكانه في جد واهتمام ، لم نكن نعد موضوعا ، بل لم يكن هناك

---

(١) الخطابة وأصولها صـ ٣ ، ٤ .

كلام يحسن السكوت عليه ، وإنما هي محاولة ، نقول فيها كلاما ما نصبه فوق رؤس جمهور لاوجود له إلا في خيالنا.

والمهم أن ننطلق .. وليس مهما أن يكون لكلامنا معني .

ثم يقول : ولم نشأ أن تبدأ المحاولة بين أهلينا في المسجد مثلاً ... فرارا من سخريات قد تطفيء شعلة الحماس في قلبينا .

وآثرنا أن نتعلم الكلام بعيداً عنهم ، حتي إذا تمرست النفوس بالتجربة واتتها قدرة علي التعبير ، تقوي مع الأيام .

ثم يعقب فضيلته علي ماسبق فيقول :

مامعني هذا ؟

معناه باختصار أن الاستعداد للخطابة مركوز في نفوسنا وعلي تعدد الغايات في حياة رفاقي ، فلم تكن لي غاية إلا أن أكون خطيباً ، وهذا الولع المبكر بها دليل هذا الاستعداد فلا كانت صورة المهندس أو المدرس تستهويني ولاصورة الطبيب .. علي شدة ولع الزملاء بها .

ولايعني هذا سهولة المحاولة .

بل لابد من تصعيد التجربة العملية ليؤتي الاستعداد أكله [١]

أي علي الخطيب أن لاييأس من محاولاته ، بل عليه أن يستمر ، وأن يعاود المحاولة مرة ومرات حتي يصبح خطيباً ناجحا مفوهاً .

ب. الأرتياض والممارسة :_

إن المحاولة وحدها لاتكفي في تكوين وإعداد خطيب ناجح بل لابد لمريدها وطالبها من الممارسة والمران كي تنمو مواهبه إن كان عنده الاستعداد النفسي والروحي .

فالإرتياض هو التدريب علي الخطابة فإن ملكتها تنمو وتقوي بالممارسة والمران ، قال خالد بن صفوان :

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة صـ ٥٦ ، ٥٧ .

" إنما اللسان عضو إن مرنته فهو كاليد تخشنها بالممارسة وكالبدن تقويه برفع الحجر ، والرّجل إذا عودت المشي مشت [١]

لذا كان العرب يدربون أنفسهم علي الخطابة كتدريبهم علي الرمي وركوب الخيل وبخاصة في المفاخرات والمنافرات والحروب والمنازعات واصطلاح ذات البيّن من ذلك : أن عمر بن سعيد بن العاص الأموي – كان لايتكلم إلا اعترته حبسه في منطقه ، فلم يزل يتشادق ويعالج إخراج الكلام حتي مال شدقه ، ولذا لقب بالأشدق .[٢]

وجاء عن ديموستين خطيب اليونان:

أنه عندما خطب علي المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة ، إذ كان صوته ضعيفاً جداً ، ونفسه قصيراً ، فتوافر عدة سينين علي رياضة صوته .

بل كان يلقي خطبه وفي فمه حصي وهو علي شاطئ البحر ، ليمرن نفسه علي التغلب بصوته علي جلبة الناس ، وظل علي هذا الحال حتي صار أرقي خطيب وأعظم مفوه في بلاد اليونان ، ويشار إليه بالبنان هذا خطيب اليونان [٣]

يقول الشيخ محمد أبوزهرة – رحمه الله تعالي ورياضة النفس علي الخطابة تكون بأمور كثيرة ، بعضها يتعلق بالإلقاء وبعضها يتعلق بالأسلوب والفكرة ، لأن الخطابة فكرة وأسلوب وإلقاء محكم .

ومن الرياضة التي تتعلق بالفكرة أن يعود نفسه ضبط أفكاره ، ووزن آرائه وعقد صلة بينها وبين مايجري في شئون الناس ، وعامة أمورهم ، ليكون علي أهبة القول الخطابي إن وجدت دواعيه ...

ومن الرياضة التي تتعلق بالإلقاء ، أن يتحدث بجيد الكلام أو يكتبه كثيراً .... ومن الرياضة التي تتعلق بالإلقاء، أن يعود نفسه إخراج الحروف مخارجها وأن يقرأ كل مايستحسنه بصوت مرتفع ، مصوراً بصوته معاني مايقرأ بتغيير النبرات وبرفع الصوت وخفضه.[٤]

---

(١) البيان والتبيين ٦٢/١.

(٢) فن الخطابة صـ ١٩ " الأشدق : واسع الشدقين والفم الفصيح اللسن .

(٣) الخطابة وأصولها صـ ٢٥، ٢٦ بتصرف .

(٤) المرجع السابق .صـ ٢٦

إذن فعلي من يريد أن يكون خطيباً لايكتفي بالاستعداد النفسي فقط ، فإن ذلك لايكفي لوحده مالم يكن مصحوباً بالتدريب المستمر

والمتواصل ، فإن هناك علماء أفذاذاً ولديهم القدرة العلمية والاستعداد ، ولكنهم لم يتدربوا علي الإلقاء الخطابي وعلي مواجهة الجمهور ، لذلك يقع بعضهم في الحرج إذا دعي فجأة إلي الحديث في مناسبة أو حدث أمر ما لإمام المسجد ، فيصاب بالهلع والاضطراب ويختلق الأعذار والمبررات لينقذ نفسه من هذه الورطة خشية التلجلج والتلعثم ، فتضيع هيبته ومكانته إذا كان من ذوي الهيئات أو المناصب العليا .

يحكي لنا فضيلة الشيخ / احمد الشهاوي سعد شرف الدين – قصة حدثت له فيقول : فقد وقعت لي وأنا طالب في السنة الثانية من القسم الثانوي بالمعهد الأحمدي في مدينة طنطا .

كان اليوم يوم جمعة وذهبت مع إخواني إلي زاوية الحي الذي نسكن فيه آنذاك وهي زاوية صغيرة كعادتنا متأخرين فلم نكن ندخل من بابها حتي نادي المؤذن للصلاة الآذان الأول وانتظر الناس مجيء الخطيب وطال الانتظار والخطيب لم يحضر فكثر لغط الحاضرين وتعالت أصواتهم تصيح بالمثقفين لكي ينقذوا الموقف خشية ضياع الجمعة ... فأخذ الجمهور يطلبون من طلبة الأزهر إنقاذ الموقف ، ولكن لم يستجب لهم أحد ... تعمدت الإطالة في الصلاة ولكن هيهات بعدها أيقنت أن الرجاء أصبح متعلقا بي ، وعندما استشعرت بذلك حتي أسرعت دقات قلبي ، وعلا نبضه ، وطفح العرق من كل ناحية ... وارتعدت مفاصلي من شدة الخوف والجزع ، وكدت أصعق من هول ذلك المصير .

وبينما كنت أتلوي يمينا وشمالاً .. إذ أقبل علي أحد الحاضرين ، ووضع يده تحت إبطي – وكان الشيخ كفيفاً – وقال لي بلهجة الآمر الواثق " قم يامولانا لتخطب لنا الجمعة " فلما سمعت منه ذلك اشتد خوفي وتضاعف هلعي ، واعتذرت له في خجل وحياء ، وقلت له في صراحة إني لا أحسن ذلك ، فصاح الحاضرون في غضب لابد أن تقوم إلي المنبر ، ولم أدر ماذا أقول ولا بماذا أجيبهم ثم سكت الجميع وساد السكون لحظة ما رأيت أطول منها ، ولا أثقل من وقعها علي نفسي ، كنت أحس أن الجميع ينظرون إلي نظرة شذراء وكأني أنا المسئول وحدي عن هذا الموقف ....

وأخيراً أكرهوني علي اعتلاء المنبر فصعدته وأنا ذاهل مشدوه ، فلما وصلت إلي حيث يجلس الخطيب جلست ، وقام المؤذن للآذان الثاني وأسرع في آذانه أكثر من ذي قبل،

وقد يكون ذلك في نظري فقط .... وماهي إلا لحظات حتي شعرت بنفسي أقول بصوت مرتعش ، وأنطق بكلمات وألفاظ مضطربة ، وأنفاسي لاتكاد تسعفني ، ورجلاي لاتكاد تحملني حتي قلت مالايفهم ، ونطقت بما لايعلم .

ثم يقول : إلا أن المستمعين كانوا يشجعونني في إعجاب ، وبعد أن فرغت من إلقاء الخطبة ومن الصلاة أقبلوا علي مهنئين شاكرين حتي لقد أسرفوا في ذلك إلي حد كبير مما جعلني انصرف من المسجد وأنا مزهو فخور ، بل ومختال مغرور .

غير أني مع هذا الزهو وذلك الغرور لم أنس مرارة الموقف ، ولم تفارقني حرارة الخجل وخاصة ساعة صعودي إلي المنبر ، وفجأة وجدتني ألوم نفسي علي هذا التفريط .... وأقول لم لم أكن مستعداً لطاريء كهذا ، ألا يجوز أن يتكرر مثل هذا الموقف مرات ومرات ، ومادمنا ننتسب إلي الأزهر ونعرف باسم دعاة الإسلام وورثة الأنبياء ، فلماذا لاتكون علي أتم استعداد لمواجهة مثل هذه الظروف .[1]

وفعلا أوفي هذا العالم بما وعد من إلامة نفسه وتعنيفها فأخذ يدبج خطبة تلو الأخرى ويقوم بإلقائها حتي أصبح خطيبا مسقعا له صولاته وجولاته ، في عالم الخطابة بل وألف كتبا تضم خطباً كثيرة مثل كتاب : صرخات علي المنبر ، وكتاب تيسير الخطابة وغيرهما ...

ج. مجالسة البلغاء :_

يقول الدكتور/ محمد عمارة – بلاغة البلغاء تعدي الآخرين حين يجالسونهم ، أو يقرأون لهم ، وقد حكي المرحوم الشيخ أبوزهرة عن إبن الأثير رأيه في ضرورة صحبة البلغاء – في مأثوراتهم – في مجال التعبير ... ليمكن للمتعلم أن يقتبس من أنوارهم .

وربما انقدح في ذهنه معني غريب لم يسبق إليه الأقدمون ... أي أن طالب التفوق في مجال الخطابة لابد له من متابعة تجارب الآخرين وصولا إلي ذخيرة من المعاني والتراكيب .

وقال ابن الأثير في كتابه المثل السائر : إن في الإطلاع علي أقوال المتقدمين من المنظوم والمنثور فوائد جمة ، لأنه يعلم منه أغراض الناس ، ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم وإلي أين ترامت به صفته في ذلك ، فهذه الأشياء مما تقوي الذهن وتزكي الفطنة .

---

(١) تيسير الخطابة للشيخ أحمد الشهاوي جـ ٣ صـ ١٥ ومابعدها بتصرف الطبعة الأولي .

وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفاً بها تصير المعاني التي ذكـرت ، وتعـب فـي استخراجها كالشيء الملقي بين يديه ، يأخذ منه ما أراد ، وأيضا فإنه إذا كان مطلعا علـي المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معني غريب لم يسبق إليه . [١] .

إذن مجالسة البلغاء أو دراسة كلامهم تنمي ملكة الاستعداد الخطابي

المطلب الثاني :-سعة الثقافة والإطلاع الدائم :_

إن الاستعداد والموهبة في الخطابة لاوزن لهما ولا تأثير إلا بكثرة الإطلاع والقـراءة المتواصلة ، فإن ذلك يعين الخطيب علي صعود المنابر ، قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمـه الله تعالي " من المحابر إلي المنابر "

وقال الدكتور/ أحمد الحوفي – رحمه الله تعالي :" ولايستغني الخطيب عـن الإطـلاع الدائم ، وإلا تخلف وأكدي ، وفتر تأثيره ، فا الروح كما قال فولتر " نار إذا أنت لم تطعمها لتزيد وتقوي تناقصت وخبت " والإنسان بالتعلم ومجالسة العلماء ، وبطول التقليب للكتـب ، يجود لفظه ويحسن أدبه "

ثم يقول : " والخطيب في جميع الحالات محتاج إلي أن يكون مزود بقسط من الثقافـة يستطيع به أن يجيد الموضوع الذي يخطب فيه ، ويستطيع به أن ينير الطريق أمام سامعيه، ويشعرهم بأنه أضاف إلي معارفهم جديداً ، ولقد يعتمد علـي ثقافتـه فـي اضـفاء الجـدة والطرافة علـي الموضوعات المعتادة في خطب التكريم والتأبين فيسترعي الانتبـاه وينـال الإعجاب .[٢]

إذن : –

لابد للخطيب الناجح من زاد علمي واسع يمكنه من الأعـداد والتحضـير التـام لأي موضوع يريد أن يخطب فيه ، وهذا لايتأتي له إلا إذا كان واسع الثقافة وغزير المعلومات ، ملما بكل جديد ، فإن ذلك يجعل له جمهوراً كبيراً يأتون إليه من كل مكان

---

(١) فن الخطابة صـ ١٧ والخطابة وأصولها صـ ٢٤ .

(٢) فن الخطابة صـ ١٩ ، ٢٠ .

أما إذا كان الخطيب غير مطلع ، قليل البضاعة العلمية محدود المعرفة ، فإنه لا يأتي إليه أحد ، بل إن جمهوره سرعان ماينصرف عنه ، حيث لاجديد عنده .

يقول الدكتور/ محمود عمارة :_فإذا لم يجدد الخطيب حياته بزاد متجدد من المعرفة ، يواكب به الحياة المتغيرة ، فسوف يكرر نفسه دائما ، ولن يحس الناس بحاجة إليه ، وبالتالي سينصرفون عنه إلي غيره ممن يقدرون الوظيفة قدرها .[١]

ويقول الدكتور/ يوسف القرضاوي :_" والدعوة عطاء وإنفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة ، كيف يعطي غيره ، وفاقد الشيء لايعطيه ، ومن لايملك النصاب كيف يزكي؟[٢]

المطلب الثالث :_ علم الخطيب بأحوال ونفسيات مخاطبيه :_

لابد لنجاح الخطبة أن يكون الخطيب عالما بحال من يخطب فيهم من حيث الأخلاق والمناخ والعادات والتقاليد واللغة واللهجة ، قال الفارابي : إن الخطيب : إذا أراد بلوغ غايته، وحسن سياسة نفسه في أموره ، فليتوخ طباع الناس ، وتلون أخلاقهم وتباين حالهم.

وقال افلاطون :لكل أمر حقيقة ، ولكل زمان طريقة ، ولكل إنسان خليقة فعامل الناس علي خلائقهم ، والتمس من الأمور حقائقها ، وأجر مع الزمان علي طرائقه .

وهذا يدل علي أن الخطيب يجب أن يكون بسياسة الناس ، ومايجب لكل طبقة من المعاملة، ومايلزم لكل صنف من الناس من خطاب ، يجب أن يكون عليما بروح الجماعة، دراسا لأخلاقها ، فاهما لما يسيطر عليها [٣] من عادات وتقاليد نفسياتهم ، ويقرب مايدعو إليه مما يألفون من عادات وما اصطلحوا عليه من عرف ، ليسكنوا إلي الأمر ، ويخضعوا له ، ويطمئنوا إليه ، لأن إقبال الناس يكون شديداً علي الأمور التي تكون من جنس ما يألفون .

وقد كان الأحنف بن قيس وهو من أبلغ البلغاء – ممن يجيئون علي قلوب العامة من ناحية عاداتهم وما يألفون ، قيل له : بم سدت ؟

---

(١) الخطابة في موكب الدعوة صـ ١٢٣

(٢) ثقافة الداعية صـ٧ .

(٣) الخطابة وأصولها صـ١١ .

قال : لو أن الناس كرهوا الماء ماشربته .

ومعني ذلك أنه يحترم العرف ويعرف سلطانه، فهو يتخذه طريقاً لسيادته ولتأثير بيانه.

يقول الإمام محمد أبوزهرة – رحمه الله تعالي :_" صناعة الخطيب من شأنها الاتصال بنفوس من يخاطبهم ، والقرب من قلوبهم ، والناس مختلفون ، مشارب وعادات ، وأخلاقا وسناً ، ومهنة ومرتبة ، ولكل طائفة من الناس أحوال ، تقتضي نوعا من الخطاب لاتقضيه أحوال الجماعة الأخرى .

وعلي الخطيب أن يلبس لكل حال لبوسها ، ويعالج كل طائفة بأنجح دوائها ، ليستقيم له الطريق ويصل إلي غرضه ، فالشباب يثير حماستهم ويوقظ قلوبهم ، ويدفع إلي إقناعهم كلام لايثير عاطفة الشيوخ ، لأن المناسب لهؤلاء نوع غيره ، فعلي الخطيب أن يقصد إلي النوع الذي يوافق جماعته شيوخاً أو شباباً

والأغنياء يرضي كبريائهم نوع من الكلام لايقتضيه مقام الخطبة لمن ليسوا كذلك .والعلماء يجتذبهم الثناء الحسن والتوقير والتعظيم ، وأن يكون الكلام الذي يلقي عليهم أقرب إلي العمق والدقة ليسترعي انتباههم ، فعلي الخطيب أن يعرف ذلك ليصل إلي موضع التأثير في قلوبهم .

والشخص الشديد التدين يرضيه الصمت والوقار من الخطيب ، فعلي هذا ألا يظهر بين يديه إلا وقوراً ظاهرا التمسك بالدين وروحه لكي ينال تقديره ، ويجتذب نفسه .

ومخاطبة الرؤساء تقتضي تجملا بالحياء ورزانة وهدوءا وابتعادا عن مظاهر التملق المذري لكي لايبتذل ، كما يقتضي ابتعاداً عن أي مظهر من مظاهر التعالي وأخذا بالتلطف وحسن المدخل ، وإلا يعترض صراحة بل تلميحا إن كان مايقتضي الاعتراض ، كما لايصح له أن يقر علي قبيح بل ينبه في رفق وفي تؤدة وحذر .

وهكذا لكل جماعة نوع من الخطاب ، وعلي الخطيب أن يجيء إليها من ناحيته لتكون معه فيما يدعو إليه .

وقال الفارابي في إحدي رسائله :-إن أنفع الطرق التي يسلكها الخطيب تأمل أحوال الناس وأعمالهم وتصرفاتهم ماشهدها ، وما غاب عنها ماسمعه ، أو تنامي إليه منا ، وان

يمعن بالنظر فيها ، ويميز محاسنها ومساواها ، ويبين النافع والضار لهم منها ، ثم ليجتهد في التمسك بمحاسنها ، وحض الناس علي طلبها ، لينالوا من منافعها [١]

ومن ثم فإنه ينبغي علي الخطيب الماهر ألا يكون منعزلا عن مجتمعه وجمهوره فيلقي خطبا ألفها علماء قدامي تتناسب مع عصرهم الذي انقضي ، بهذا تؤدي به إلي الانفصال عن الجمهور ، فيستهينوا بكل مايلقيه من مواعظ ، كما ينبغي له أن لا يركز علي سلبيات المجتمع ، فلا تكون بكل مايلقيه من مواعظ ، لاذعا ، وسبا ظاهراً ، إننا نريد من الخطيب أن يهتم ببناء النفوس وإصلاح المجتمع ، وأن يصل الدين بالحياة ، فقد جاء الدين ليصلحها ويسعد الناس فيها [٢]

المطلب الرابع :- خلو الخطيب من العيوب الكلامية :_

إن النطق الحسن الصحيح هو الدعامة الأولي للإلقاء الجيد وإذا اعتري النطق مايفسده ، ضاع الإلقاء ، فضاعت معه الخطبة وأثرها وفقد الخطيب مايسموا إليه من وراء البيان ، ولاشيء يذهب بالمعني الجيد أكثر من النطق الرديء وكثيراً مايفهم المعني علي غير وجهه ، لأن النطق قلبه ، ولم يصوره تصويراً صادقاً [٣]

والنطق الجيد يساعد علي نجاح الخطبة ذلك لأن الخطبة قد تكون جيدة المعاني مترتبة الأفكار ، حسنة العبارات والأساليب ، ثم لايكون هناك نطق جيد كأن يكون في النطق فأفأة أو تمتمة فتضيع الخطبة وتذهب قيمتها ، إذ لايفهمها السامعون ، ولاتجذبهم ، وقد تكون الخطبة أقل في الإعداد وفي جودة الألفاظ والأساليب غير أن الكلام واضح ومفهوم لدي السامعين ، فلا ينطق الخطيب بالثاء سينا ، ولا بالذال زايا ، ولا باللام ياء وهكذا كل مخارج الحروف فتأتي الخطبة في أبهي صورة وأفضل بيان .

---

(١) دراسات في فن الخطابة د/ جميل أحمد الشوادفي صـ١٨٦ وانظر قواعد الخطابة د/ احمد غلوش .صـ ٨١-٨٢ بتصرف .

(٢) الخطابة الدينية للمؤلف صـ٨١-٨٢ ..

(٣) الخطابة وأصولها صـ ١٤٥ .

العناية بالصوت :-

ومن سمات النطق الحسن " العناية بالصوت " لأن به يصل الكلام إلي الآذان فإن كان جليا واضحا وملائما للمكان والمقام والموضوع كلما شنف آذان المستمعين وجذب قلوبهم ، وأثّرت كلماته في النفوس ، وإن كان الصوت منكراً قبيحاً أو كان ضعيفاً أدي إلـــي إجهـــاد السامعين ، ودعا إلي السآمة والملل .

ومن ثم فإنه يجب علي الخطيب أن يعني بما يلي :_

١. جهارة الصوت وقوته :_

الصوت نعمة من الله تعالي علي من يغني أو يخطب .... وكثيراً مايســـحر الخطيـــب بصوته أكثر من سحره ببلاغته .... والصوت الجهير القوي الذي يدوي في الحفل من عـــدد الخطيب لامتلاك الجمهور وإسماعه كله [١]

يقول الدكتور/ عبد الجليل شلبي :_وكان العرب يفضلون في الرجل أن يكون واســـع الإشداق ، ويصفون الخطيب الجيد بأنه أشدق ، وكل متفوه ذوبيان فهو أشـــدق ، ويتوقـــف الصوت القوي علي قوة الحنجرة ، وقوة الصدر والرئتين ، وهذه صفات خلقية ومردها كلها إلي إجادة الصوت وجهارته وحسن بيان الحروف ومخاربها [٢]

٢. تغيير الصوت وتنويعه :_

حتي يشاكل موضوعه ويلائمه ، وهذا يستدعي تنسيق الخطابـــة وإحكـــام ترتيبهـــا ، والخبرة بأجزائها ، فصوت الرجاء يخالف صوت اليأس والقنوط ، وصـــوت الغضـــب غيـــر صوت الرضا .

٣. ارتفاع الصوت وهبوطه :-

تبعاً لكثرة الحاضرين وقلتهم ، وتبعاً للمكان فيعلو الصوت إذ كثر الســـامعون ، وإذا كان الخطيب يخطب بالعراء ويهبط الصوت إذا قل السامعون وإذا كان المكان غير متسع .

---

(١) فن الخطابة للحوفي صـــ ٣٠ .

(٢) الخطابة واعداد الخطيب صـــ ٣٢ .

علاج الصوت إن كان به عيباً :-

كان اليونانيون يعنون بالصوت عناية تامة ، وكان له أساتذة جعلوا صناعتهم تربية الصوت ومعالجته ، لتحسن نغمته ، ويقوي جرسه

ورنينه ، ويتسع مرماة ، وتعظم نبراته ، وذلك عن طريق العناية بالتنفس حيث إن الصوت خاضع للتنفس ، فكلما كان التنفس جيداً صحيحاً ، كان الصوت سليما يؤدي الغرض والعناية بالتنفس تتم علي النحو التالي :ـ

أـ استلق علي ظهرك ، واستنشق الهواء كثيراً متقطعاً ، بطيئاً في المرة الواحدة ، ثم تنفرج الأضلاع وينتفخ البطن ويعلو الصدر ، ثم أحبس هواء الشهيق في نفسك مدة ثلاث ثوان ، ثم اطرده بسرعة .

ب ـ اعكس هذه العملية فاستنشق الهواء كثيراً بسرعة واطرده ببطء ونظام وتقطع .

ج ـ استنشق الهواء سريعاً وأخرجه سريعاً

د ـ استنشق الهواء بطيئاً وأخرجه سريعاً .

ملاحظات :ـ

الأولي :ـ لاتتكلم أثناء التمرين .

الثانية :ـ الشهيق يكون بالأنف والزفير بالفم .

الثالثة :ـ لا تنتقل ولا تزاول تمرين إلا بعد التمرين الكافي والتدريب الناجح بالترتيب السابق.

الرابعة :ـ يحسن أن يكون التمرين في الهواء الطلق حتي تكون الفائدة أتم [١]

وأيضاً من الأمور التي تحافظ علي الصوت ، أن يتجنب الخطيب الإفراط في التدخين والشراب المثلج أو الشديد السخونة والإكثار من أكل اللحوم والدهون ، فإن ذلك يضر بالصحة ضرراً شديداً لأن جميع هذه الأشياء – كما يقول الأطباء المتخصصون – تهيج الأغشية .

---

(١) الخطابة – محمد عبدالخالق الفقي صـ ١٣٠-١٣١ .

ويحسن أن يكون بين الطعام والكلام ساعة علي الأقل ، لأنه إذا كانت المعدة خالية من الطعام ، وتكلم الخطيب أدي ذلك إلي ضعف القلب ، والرئة ونبرة الصوت ، وإذا كانت ممتلئة مكتظة هبط الحجاب الحاجز ، وتعبت المعدة ، وهي بيت الداء .

العيوب الكلامية وعلاجها :_

إن للكلام عيوبا متمثلة في النطق وهي كثيرة ، لكن أكثرها شيوعاً وذيوعاً : اللجلجة[١] – اللثغة – الفأفأة – التمتمة – اللفف – الحبسة – الحكلة " [٢]

وهذه عيوب قد تنشأ غالبا في الصغر ، ثم يستفحل علاجها ، ويعظم في الكبر بالعادة وإهمال العلاج ، وعدم استئصال شأفتها في الصغر ولكن الإرادة القوية ،والصبر الجميل علي مداومة العلاج ، وعدم الوهن والضعف والتأني حين الكلام والتثبت من الموضوع ، والتمكن منه ولو باستظهاره حتي لايعتريه الخجل ، ولايهوله الخطب إذا بان عيبه حين الإلقاء ، هو خير ما يعالج به عيب الخطيب .

وسوف نلقي الضوء علي بعض هذه العيوب وكيفية علاجها – بإيجاز – حتي يكون القاريء الكريم وبخاصة لمن يتصدي للخطابة علي معرفة بها وهاك هي :_

أ. اللثغة :– وهي :_

إبدال حرف حرفا ، والشائع منه إبدال الراء ياء أو غينا ، والغين أقل قبحاً ، وهي كثيرة في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم [٣] ولكن بالمثابرة وطول الممارسة والدربة تزول ، ومن هؤلاء واصل بن عطاء الذي كان شيخ المعتزلة ، كان ألثغا بل فاحش اللثغ ، وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقال ورئيس مذهب ، وانه كان يريد الاحتجاج عن أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لابد له من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطوال ، وأن البيان يحتاج إلي تمييز وسياسة ، وإلي ترتيب ورياضة ، وإلي إحكام الصنعة، وسهولة المخرج ، وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وأن حاجة المنطق إلي

---

(١) اللجلجة : التردد في الكلام .

(٢) الحكلة : العجمة في الكلام .

(٣) البيان والتبيين ٢٨/١ .

الحلاوة والطلاوة ، كحاجته إلي الفخامة ، وان ذلك من أكبر ماتستمال به القلوب ، وتنثني إليه العناق ، فعمد " واصل " إلي إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، حتي انتظم له ماحاول ، واتسق له ما آمل، قال الجاحظ : ولولا استفاضة هذا الخبر ، وظهور هذا الحال حتي صار لغرابته مثلا ، ولظرافته معلماً ، لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له ، ولست أعني خطبه المحفوظة ، ورسائله ، المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجة الخصوم ، ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان [١]

وأيضا كان " ديموستين " خطيب اليونان ومدرها ألثغا ، فلما خطب في أول عهده بها هزيء به سامعوه ، فكاد ييأس ، لولا أن أستاذه شجعه علي إصلاح عيبه فعكف علي المطالعة وإصلاح لسانه حتي لقد رووا أنه كان يحلق نصف رأسه ، ويقيم في بيته أشهراً ، يتمرن علي الخطابة والإشارة ، وأنه كان يذهب إلي شاطيء البحر ، ويضع في فمه حصاة ، ويخطب علي هدير الموج ، كأنه جمهور عظيم حتي صلح لسانه [٢] ذلك لأن عدم مراعاة النطق الصحيح يضيع جمال الخطبة وبهاءها وقد يوقع السامعين في لبس ووهم أو علي الأقل يكلفهم مشقة في فهم المراد منها ، فإذا تحدث شخص عن أثر الكبر وأخلاق المتكبرين فقال : إن الشخص قد يزهو وينتفس فلا يطيق الناس نفسه ، وهو يريد " ينتفش فلا يطيق الناس نفشه " وينتفش يزهو كالديك ، فانظر كيف ضاع المعني بسبب إبدال الحرف مكان حرف آخر

ب. التمتمة والفأفأة :_

التمتمة هي التتعتع في " التاء " ويقال لمن كانت فيه هذه الحالة تمتام والفأفاة : هي التتعتع في " الفاء " ويسمي من كان عنده هذا العيب فأفأء ، قال الشاعر :_

لست بفأفأء ولاتمتام ولاكثير الهجر في الكلام

---

(١) المرجع السابق ٢٨/١

(٢) فن الخطابة للحوفي صـ ١٤ ، والخطابة للفقي صـ ٢٢٧

ج. اللفف :_

وأما اللفف فهو إدخال بعض الكلام في بعض ، ومن كان فيه هذا العيب فهو لفــف ، قال الشاعر :

كأن فيه لففا إذا نطق ... من طول تحبيس وهم أرق

د. الحبسة :_

وأما الحبسة فهي ثقل النطق علي اللسان من غير أن يتردد في حــروف بعينهــا – كالفأفاء والتمتام – وقد يكون السبب في ذلك عــدم وضــوح مايريــد أن يقولــه والحيــاء والخجل [1]

العلاج :_

وعلاج ماسبق يكون إما أن يذهب أصحابها إلي الأطباء المتخصصين ، وإذا لم يكــن علاجها عن طريق الأطباء ، فإنه من الممكن أن يحاول أصحابها التخلص بالدربــة وطــول الممارسة كما فعل " ديموستين " بوضع حصي في فمه عند الكلام ، أو إسقاط الحرف الــذي يعاني منه العيب ، كما فعل " واصل بن عطاء " حيث أسقط الحرف الذي يعاني منــه وهــو حرف " الراء " وبخاصة أن اللغة العربية أكثر اللغات ألفاظا ، وأغزرها مترادفا ، ونادراً جداً أن تري معني ليس له ألفاظاً كثيرة تدل عليه .

المطلب الخامس :–_ ضبط النفس واحتمال المكارة :_

إن الخطيب الناجح له أعداء كثيرون ، يحاولون دائما أن يضعوا له العراقيل ويبــذلوا قصاري جهدهم في إقصائه عن هذا المنبر الخطـــــير

مرة يقابلونه بالسخرية والاستهزاء ، ومرة يتصيدون له السقطات والهفوات .

ومن المعلوم أن الخطيب بشر يخطيء ويصيب ، وليس بمعصوم ، ولكن أعــداء النجــاح يقفون له بالمرصاد ، فإذا لم يتسلح بسلاح ضبط النفس ، والسيطرة علي مشــاعره وأحاسيســه

---

(١) انظر الخطابة وأصولها صـــ٦١ .

واحتمال المكاره أصابه الوهن والفشل ، لذا قيل لعبد الملك بن مروان وكان خطيباً: عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين قال : شيبتني صعود المنابر والخوف من اللحن[١]

وهو قول يدل علي مقدار ماكان يعانيه ذلك الخطيب في الاستيلاء علي نفسه حتي لاتجشأ ولاتجيش ، وحتي لايضطرب ، ولا تأخذه الحبسة ، لذلك نقول –يجب أن يربي مريد الخطابة نفسه علي احتمال المكاره والحلم وضبط الإحساس ، ومحاربة مظاهر الاضطراب والوجل ، فإن الاضطراب يورث الحيرة ، والوجل يضعف أثر الخطبة في نفوس السامعين إذ تهون عليهم لهوان قائلها [٢]

ومن ثم فإنه يجب علي الخطيب الماهر أن يكون عنده صبر وطول بال ، وقدرة علي التحمل من ذلك أن أباجعفر المنصور أمير المؤمنين ، خطب مرة فقال : اتقوا الله ، فقال رجل أذكرك من ذكرتنا به ، فقال : أبوجعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكر به ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه ، فتأخذني العزة بالإثم ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، وما أنت والتفت إلي الرجل فقال : والله مالله أردت بها ، ولكن ليقال : قام فقال ، فعوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت العقوبة وأنا أنذركم أيها الناس أختها ، فإن الموعظة علينا نزلت وفينا نبتت ، ثم رجع إلي موضوع خطبته

وهذا يدل علي صبر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وطول باله ، حيث صبر علي تطاول هذا الرجل الذي تهجم علي مقام الإمارة .

وأيضاً خطب أحد وزراء حزب العمل البريطاني في حفل كبير فقاطعة أحد السامعين قائلا له : " كان أبوك يمارس تجارته علي عربة يجرها حمار ، وكان من الأفضل لك أن تمارس تجارة أبيك علي عربته ، ذلك أحسن من اشتغالك بالسياسة التي لاتحسنها "

فقال له الوزير مجيبا : إن عربة أبي لاتزال موجودة ، ولكنها تحتاج إلي حمار يجرها ولا أري خيراً منك لأداء هذه المهمة [٣ ثم رجع إلي موضوع خطبته ، فلو لم يكن عنده صبر وقوة احتمال لكان انفعل انفعالا شديداً علي هذا الرجل الذي طعن في أبيه وفي عمله .

---

(١) فن الخطابة للحوفي صـ ١٨ .

(٢) الخطابة وأصولها صـ ٢٥ .

(٣) الدعوة والخطابة – علي عبدالعظيم صـ ٤٦ دار الاعتصام .

المطلب السادس :__ سرعة البديهة :_

من الأمور الهامة التي ينبغي علي من يتصدي للخطابة أن يكون سريع البديهة حاضر الذهن ، حسن التخلص من المواقف المحرجة التي يتعرض لها الخطباء لأنه كثيراً مايتعرض الخطيب لسؤال قد أعده أحد المستمعين ليختبر بها اتجاه الخطيب أو ميوله الخاصة ... وبعض الاستفسارات عن أشياء ليست من اختصاص الخطيب ، أو يسأله عن أشياء خارجة عن نطاق الموضوع الذي يتحدث فيه ، لذا كان علي الخطيب أن يتعلم كيف يخرج من هذا المأزق من غير مأخذ عليه ، فلا ينقطع ولايتجلجل ، ولايبطيء في الجواب(١)، وإن لم تسعفه بديهته أو ذاكراته بجملة قوية مؤثرة مسكته فالأفضل له ألا يرد ، فسكوته حينئذ خير من نطقه ، وبخاصة إذا كان الباعث علي المقاطعة والمعارضة الحقد والحسد أو القصد به التهريج والتعويق كان السكوت ترفعا وعدم اهتمام .

ذكر أن زعيما اشتهر بالقدرة الخطابية ، فاجأه ذات مرة احد المستمعين أثناء المحاضرة بقوله " هذا غير صحيح " وكان هذا الخطيب ذكياً ألمعيا ، فطن إلي مايريده المعترض فاكتفي بقوله " هذا رأيك " واستمر في حديثه دون أن ينقطع (٢)

ويحكي أن طالبا كان يؤدي اختباراً في دروس التربية العملية تحت إشراف أحد الأساتذة ، فوقف أحد التلاميذ ، ووجه إليه سؤالا كان لايعرف الإجابة عليه ، إلا أن الطالب كان سريع البديهة ، فقال للتلميذ : " ذكرني في آخر الدرس " وبمجرد أن دق الناقوس خرج التلاميذ من الفصل يهرعون إلي فناء المدرسة ، ونسي التلميذ سؤاله ، فكتب المشرف الملاحظة الآتية :-

" الطالب ذكي حسن التخلص " (٣)

وقد يخطيء الخطيب في حادث يرويه أو خبر يقصه ، فينبري له بعض سامعيه بتصحيح ما أخطأ فيه ، فيتخلص من ورطته ، بسرعة تخلصاً لبقا لايسبب له ارتجاجا أو تلجلجا ولايزعزع الثقة فيه .

---

(١) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع للمؤلف صـ ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق صـ ١٦٦ .

(٣) كيف ندعو الناس ، عبدالبديع صقر صـ ٣٩ مكتبة وهبة .

من أمثلة ذلك ماحدث لوكيع بن أبي أسود التميمي ، أحد أبطال المسلمين في فتوح بخاري ، مع قيبة بن مسلم ، فقد كان يخطب مرة في جند العرب بخراسان فقال :-

إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر ، فرد عليه أحد الحاضرين بقوله :

إنها ستة أيام ، فقال وكيع : وأبيك لقد قلتها وإني لأستقلها

وكذا فعل عدي بن زياد الأيادي فإنه قال في خطبة له .أقول لك كما قال العبد الصالح لقومه ، ما أريكم إلا ما أري وما أهديكم إلا سبيل الرشاد .

فقال له أحد الحاضرين ، ليس هذا من قول العبد الصالح ، وإنما هو من قول فرعون، فقال عدي : من قاله فقد أحسن .

ومعني هذا أنه لايعنيه القائل ، بل يعنيه ماقيل ، لأنه الملائم لحالهم وحاله معهم ، وهذا تخلص حسن .(١)

المطلب السابع :_ الاعتقاد بصحة مايدعو :_

إن من يتصدي للخطابة لابد أن يكون مؤمنا إيمانا كاملا ، ومعتقداً اعتقاداً جازما بصحة مايدعو إليه ، فإذا كان كذلك لاشك أنه عندما يتكلم أمام جمهوره ومستمعيه ، سيخرج كلامه من قلبه ، فينفذ علي الفور إلي قلوبهم ، فيؤمنون به ويتأثرون به أيما تأثير، لأنه كما قيل " ماخرج إلي القلب يصل إلي القلب وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان ". وما ذلك إلا لأنه هو نفسه تَأثّر بما يقول ، وأثر فيمن يستمع ولله در من قال

"لا يؤثر إلا المتأثر " وقال الشاعر :_

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان علي الفؤاد دليلا
لايعجبنك من خطيب قوله حتي يكون مع اللسان أصيلا

وأيضاً ، فإن الخطيب المتأثر المعتقد صحة وصدق مايدعو إليه تلتهب كلماته ، وتستقر في القلوب عباراته لأنها قبس من نفسه الملتهبة ، وصورة من عواطفه المنفعلة ،

---

(١) فن الخطابة للحوفي صـ ٢٤-٢٥ .

وسرعان ماتتصل أرواح السامعين بروحه تستمد منها وتتحد معها وتتجاوب ، وتندفع إلي الطريق التي يشقها الخطيب ويريدها فهو لايكاد ينطق بالجملة حتي تكون أسماعهم قد تلقفتها ، وقلوبهم قد وعتها .

سمع الحسن البصري رحمه الله واعظا لم تؤثر به موعظته فقال له : ياهذا إن بقلبك لشرا أو بقلبي [١]

وما ذلك إلا لأن هذا الواعظ ، قال كلاما لم يكن هو مؤمنا به ، فخرج كلامه من اللسان ولم يخرج من القلب ، لأنه ما كان من القلب يصل إلي القلوب .

ذلك لأن قوة الاعتقاد تكسب الكلام حرارة ، والصوت رنات مؤثرة والألفاظ قوة والمعاني روحاً ، وتجعل من الملامح والنظرات نورا يشع شعاعا ، يصور ما في القلب من إيمان قوي ، وإخلاص عظيم ، وكل هذا يخلق جوا عاطفياً حول الخطيب يجعل كلامه متصلاً بالوجدان [٢]

المطلب الثامن : _ أن يكون الخطيب ذا نفوذ : _

النفوذ هبة من الله تعالي يهبها بعض الناس ، تري كل من يلقاه يحس بقوة روحه ، وعظم نفسه ، فتستمد كلماته من نفسه قوة ، نظراته شعاع ينفذ إلي القلوب ، وصوته يهز النفس هزات روحية تجعلها تلقف عباراته ، فتنطبع فيها مكبرة ، وإذا وهب الله خطيبا تلك الروح ، قاد الجماهير ، وساقها بعصا موسي ، فلا تشرد منه شاردة ، ولايتخلف عن قافلة الجماعة السائرة إلي الأمام بهدية متخلف ، فهي كما تري صفة النوع الكامل من الخطباء ، وقد آتي الله بعض خطباء العرب أشطرا من هذه القوة ، كأكثم بن صيفي ، وأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب والحسن البصري في الإسلام ، وناهيك بما كان عليه النبي صلي الله عليه وسلم – من قوة الروح ، فذلك نور النبوة ، وعبقة قدسية ، وقبس رباني [٣]

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٦ .

(٢) الخطابة واصولها صـ ٦٨

(٣) المرجع السابق صـ ٥٧ ، ٥٨

والنفوذ نوعان :_ ١ــ نفوذ فطري

٢ــ نفوذ كسبي

١. فالنفوذ الفطري :ـ

يكون هبة يهبها الله لمن يشاء من عباده ، فيؤثرون بأنفسهم من غير أمــر خــارجي يعرض لهم ، ومن ذلك ما آتاه الله العظماء الممتازين ، كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما ، وهذا النفوذ أقوي عملا ، وأشد تأثيراً ، فمن آتاه الله ذلك النفوذ ملــك من النفوس ، والمشاعر والأهواء ، مايجعله يقول فيطاع من غير أي اعتراض ، بــل مــن غير تفكير فيه ، يتأثر بقوله أشد الناس بغضا له .[١]

٢. النفوذ الكسبي :_

هو ما كان مستمداً من رنين اسم الخطيب وشهرته وعائلتــه أو وظيفتــه أو لقبــه أوزيه أو سمعته أو ماله ، لذا قال أحد الحكماء بضرورة الجبة والشعر للقضاة ، ولولاهمــا لفقدوا ثلاثة أرباع نفوذهم [٢] لذا يجب علي من لم يؤت ذلك أن يسعي بشــتي الطــرق فــي كسب نفوذ أيا كان من طريق شريف ذلك لأن النفوذ له أثر كبير فــي تقبــل كــل مايقولــه الخطيب كما أشرنا من قبل .

يقول د / أحمد الحوفي :_النفوذ الشخصي إذن عصا الخطيــب الســحرية ، والنــاس يحاكون ذا النفوذ الشخصي عامدين أو مسوقين بفطرتهم .

وإنما ينجح الخطباء في المجالس النيابية بنفوذهم لابراهينهم ، ولــذا يفقــد العضــو تأثيره إذا مافقد نفوذه ....

ثم يقول : ومن دواعي نفوذ الخطيب بنجاحــه فــي خطبــه ، فيــدين لــه النــاس ، ويستعدون لسماعه متأثرين سلفاً ، وكذلك عزيمته القوية ، وعقيدته الحارة الصادقة ، فــإن الجموع تذوب إرادتها ، في إرادة محركها وزعيمها [٣]

---

(١) دراسات في فن الخطابة د/ احمد مبارك صــ ١٥٠ .

(٢) فن الخطابة للحوفي صــ٥٧ .

(٣) المرجع السابق صــ ٥٨ ،٥٩ .

المطلب التاسع :_ حسن المظهر وجمال الهندام :_

إن حسن مظهر الخطيب أحد الأسباب المعينة علي التأثير حين يراه المستمع في صورة ترتاح لها العين قبل أن يبدأ حديثه ، وحينئذ يعيره انتباهه مستوعبا ذلك الحديث .

ومن ثم فإنه يجب علي الخطيب أن يحرص علي مظهره العام وحسن صورته وهندامه أمام من يدعوهم ذلك لأنه قدوة ، والقدوة لابد أن يضرب المثل في حسن المظهر وجمال المخبر ، بحيث يهتم بلباسه وهندامه ، بحيث يكون أنيق المنظر ، حسن الهيئة من غير مغالاة ولا إسراف ، ترتاح لرؤياه العيون ، وتأنس به النفوس ، متأسياً برسول الله صلي الله عليه وسلم – تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها – أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – كان لايرقد ليلاً أو نهاراً ، فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ .(١)

وروي عن أنس بن مالك – رضي الله عنهما أنه قال : ماشممت عنبراً قط ، ولامسكاً ولاشيئاً أطيب من ريح رسول الله صلي اله عليه وسلم .(٢)

ولقد كان صلي الله عليه وسلم – إذا صافحه أحد ، ظل يومه يجد ريح الطيب في يده، وإذا وضع يده علي رأس الصبي عرف من بين الصبيان بالرائحة الزكية .

وفي طبقات ابن سعد :_ عن جندب بن مكيث رضي الله عنه – قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم – إذا قدم الوفد ، لبس أحسن ثيابه ، وأمر عليه أصحابه بذلك ، فلقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم – يوم قدوم وفد كندة وعليه حلة يمانية ، وعلي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثل ذلك .

وروي الطبراني والبيهقي والحاكم عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه قال :

رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم – دعا بثياب جدد ، فلبسها ، فلما بلغت تراقيه قال : الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي وروي الترمذي والحاكم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – يقول : إن الله يحب أن يري أثر نعمته علي عبده .

---

(١) رواه الأمام أحمد ..

(٢) رواه الإمام مسلم .

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسير قول الله تعالي : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيبات من الرزق " روي مكحول عن عائشة رضي الله عنها – قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم – ينتظرونه علي الباب ، فخرج يريدهم وفي الدار ركوة فيها ماء ، فجعل ينظر في الماء ، ويسوي لحيته وشعره ، قالت عائشة : فقلت له : يارسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال : نعم ، إذا خرج الرجل إلي إخوانه ، فليهيء من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال

وكذلك كان أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم – يهتمون بحسن المظهر وجمال الهندام والطيب من ذلك :

إن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – اشتري ثوباً بألف درهم فلبسه [١]

وكان عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – يلبس البرد والحلة تساوي خمسمائة أو أربعمائة .[٢]

وحكي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه – أنه كان يقول : من انفق ثلث ماله في الطيب ماكان مسرفاً

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – انه قال : لما خرجت الحرورية أتيت عليا رضي الله عنه فقال : إئت هؤلاء القوم ، فلبست أحسن مايكون من حلل اليمن ، فلقيتهم فقالوا : مرحبا بك ياابن عباس ، ماهذه الحلة ؟ قال : ماتعيبون علي ، لقد رأيت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم – أحسن مايكون من الحلل [٣]

وأيضاً كان الأئمة العظام أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل – رحمه الله يهتمون بحسن مظهرهم فكان الإمام أبو حنيفة رحمه الله : حسن الهيئة والثياب ، طيب الرائحة ، حريصاً علي دوام التأنق في الملبس ، بلغ من حرصه تحسين الثياب والهندام انه كان يحث الناس علي ذلك ، ويبالغ في حثهم علي إصلاح هيئتهم ، ولقد رأي ذات يوم أحد

---

(١) الحلية : ٣٢١/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٣١/٣

(٣) رواه أبو داود .

جلساته في ثياب رثة ، وانفرد به وقدم إليه ألف درهم ليصلح بها هيئته ، فقال له الرجل : إني موسر ، وفي نعمة ، ولا أحتاج إليها ، فقال له أبو حنيفة معاتباً ، أما بلغك الحديث : إن الله يحب أن يري أثر نعمته علي عبده فينبغي لك أن تغير حالك ، حتي لايغتم بك صديقك[١] فعلي الخطباء الاهتمام بالمظهر والمخبر " فإن المستمع يري الخطيب بعينيه قبل أن يسمعه بأذنيه [٢] قيل : إن الناس تسمع بأعينها قبل أن تسمع بأذنها [٣]

ويقول الشيخ محمد المهدي : والنظر يفعل في القلب كما يفعل الكلام في السمع ، فهو من هذه الناحية لاينقص اعتباره عن اعتبار الصفات الأصلية : ألا تري أن معاوية لما رأي " النخار " مرتديا عباءة رثة أنكر مكانه وهيئته حتي اضطر " النخار " إلي أن يقول : إن العباءة لاتكلمك إنما يكلمك من فيها [٤]

إن المظهر الحسن يبعث علي الاحترام والتقدير ، من أجل ذلك كان العربي إذا أراد أن يخطب اعتجر عمامته ، أي لبس العمامة الكبيرة – حتي إذا رآها الحاضرون أحسوا برهبة وخشوع يساعدان علي الإذعان والقبول لما يقول .

ذلك أن المظهر الحسن " والهندام المنسق يعزز ثقة الخطيب بنفسه ، ويكسبه في أعين الناس مهابة ، والناس منذ كانوا يتأثرون أول وهلة بالبزة الحسنة والمنظر الجليل ، والفرنجة يعتنون بزيهم ، ولاسيما إذا علوا المنابر ، وكان العرب في الجاهلية ومابعدها يلبسون العمائم ، ويفخمون منظرهم إذا ماخطبوا " [٥]

وهكذا يجب علي الخطيب إذا أراد النجاح أن يهتم بنظافة جسمه ، وثوبه بأن يتطهر بغسل أو وضوء ويتطيب ويتبخر ويستاك ويسرح لحيته ، ويلبس أحسن ماعنده من ثياب ، فإن لذلك أثراً عظيماً في نفوس المستمعين

---

(١) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد للدكتور / محمود علي حماية صـ ١٤٤ .

(٢) الخطابة في موكب الدعوة صـ ٨٠ .

(٣) المرجع السابق صـ ١١ .

(٤) الخطابة وأصولها صـ ٥٨ .

(٥) فن الخطابة للحوفي صـ ٣٣ .

المبحث الثانى

إعداد الخطبة وتحضيرها

تمهيد :_

إنه مما لاشك فيه أن أي أمر عظيم لابد له من تخطيط وإعداد ، وإلي جهد يبذل ، ووقت يعد فيه ، حتي يكون علي قدر المقام الذي وضع له ، وما من شيء في هذه الحياة – إذا أريد له النجاح – إلا ويحتاج إلي إعداد جيد وتنظيم وترتيب علي أعلي مستوي .

والقاعدة : أنه لابد من الأخذ بالأسباب ، فإنه لانجاح دون مذاكرة ، ولاحصاد دون زرع ، ولا انتصار علي الأعداء دون اخذ العدة والتخطيط لهذا النصر ، حتي الرسل الكرام عليهم السلام لم يكلفهم الله تعالي بالرسالة إلا بعد أن أعدهم إعداداً كاملا وهيأهم تهيئة تامة للقيام بأعباء الرسالة [١]

كذلك فإن الخطيب الذي يقدر مسئولية الدعوة إلي الله تعالي والذي يحترم نفسه لابد أن يعد لموضوعه ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه – في أثناء اختيار الخليفة في دار السقيفة : كنت قد زَوّرْت في نفسي كلاما قبل أن أصل إلي سقيفة بني ساعدة [٢]

وزورت هنا بمعني رتبت وأعددت وجهزت .

وفي البيان والتبيين للجاحظ مانفهم منه أن بعضهم – أي العرب – كان يعد خطبة في أوراق ، فمثلاً يقول أبو مسمار العكلي :

لله دّر عامر إذا نَطَقْ ... في حفل إملاك وفي تلك الحلَقَ
ليس كقوم يعرفون بالّسَرقْ ... من خُطَب الناس ومما في الورق
يُلَفّقون القول تلفيق الَخِرقْ ... من كل نضّاح الّذَفاري بالَعَرق

---

(١) انظر الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د/ عبدالغفار عزيز صـ ١٣٥ بتصرف .
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٠

إذا رَمَتْه الخُطَباء بالحدق[١]

وكان البعيث الشاعر من أخطب الناس ، وهو الذي يقول : " إني والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيباً[٢] ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المُحَكَّك .

وأرادوا عبد الله بن وهب الراسي الكلام يوم عقدت له الخوارج الرئاسة فقال : " وما أنا والرأي الفطير والكلام القضيب

وقيل لابن التوأم الرقاشي : تكلم ، فقال : ماشتهي الخبز إلا بائتا [٣]

وصعد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه – المنبر أول عهده بالخلافة فارتج عليه ، وغاب عنه الكلام فقال : أيها الناس إن أبابكرٍ وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم أحوج إلي إمام عادل منكم إلي إمام خطيب ، وستأتيكم الخطب علي وجهها ، وتعلمون إن شاء الله .

من هذا كله يتضح لنا أن مقام الخطابة مركب صعب وله هيبة ورهبة ، قيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال : كيف لايعجل علي الشيب ، وأنا أعرض عقلي علي الناس في كل جمعه مرة أو مرتين . [٤]

إذن ينبغي علي من يريد أن يكون خطيبا محترما أن يعد خطبته إعدادا جيداً حتي يجتنب المواقف المحرجة التي تسقطه من نظر مستمعيه ، والإعداد – كما يظن البعض – أنه معيب ، وهذا توهم ، إنما العيب أن يقول الخطيب كلاماً مبتذلا سوقيا لاقيمة له – كما يقول الإمام محمد أبوزهرة في كتابه القيم " الخطابة " – ولتكن له أسوة حسنةٍ في كثير من كبار الخطباء الأقدمين والمحدثين ، فإن كثيرين منهم مع قدرتهم التامة علي الارتجال يأخذون للموقف الأهبة ويعدون له العدة ، عالمين بان الخطيب كالمجاهد ، لايخوض غمار الحرب ، من غير أن يدرع بدروعها ، ويترس بتروسها ... وليس ذلك في

---

(١) البيان والتبيين ١/١٣٣– المراد بالزفاري هنا : جسم الخطيبٍ

(٢) كلاما قضيبا أي مرتجلا ، خشيبا أي رديئا لم يعد .

(٣) المرجع السابق ١/٢٠٤

(٤) المرجع السابق ١/١١٧

الخطيب إلا بالتحضير والتهيئه ، والاستعداد للموقف من كل نواحيه ، وإن الذي يتعرض للخطبة من غير سابق تحضير ولاتهيئة ، ولم يكن ذا إلمام سابق بالموضوع يجيء كلامه ضعيفا في معناه ومبناه ، بل إن ذا الإطلاع الواسع ، والعلم الغزير بما يقول إن لم يراجع نفسه بعد أّن يفكر طويلاً فيما يعتزم قوله وقتا بعد آخر يضعف أسلوبه الخطابي ، وتلين عباراته ، وتتجه معانيه اتجاها سطحياً وتفقد قوة التأثير في المشاعر والأحاسيس [١]

من هنا تظهر أهمية تحضير الخطبة وإعدادها وهما الأساس والركيزة ولاينقصان من شأن الخطيب أو يقللان من مكانته وقدره ، ومادام الإعداد هو الأساس والقاعدة ، فما هو ؟ وماطر قه وماخطواته ؟

الأول : _المقصود بإعداد الخطبة :-

الإعداد هو : التهيئة والتحضير " وبذل الجهد في تجهيز الخطبة باختيار الموضوع المناسب ، وذلك بالقراءة الواسعة في مصادره ومراجعه وتقسيمه إلي عناصر مرتبة ترتيبا منطقياً ، وإمداد كل عنصر بما يناسبه من شواهد وأدلة وبراهين ، وانتقاء الأسلوب المناسب ، واختيار الألفاظ الملائمة [١]

يقول الجاحظ في البيان والتبيين :

إن المعني إذا اكتسي لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه قولا متعشقا صار في قلبك أحلي ، ولصدرك أملا ، والمعاني إذا كست حسن الألفاظ الكريمة ، وألبست الأوصاف الرقيقة ، تحولت في العيون عن مقادير صورها ، وأربت علي حقائق أقدرها بقدر ما زينت ، وعلي حسب مازخرفت فاذكر هذا الباب ولاتفرط فيه [٢]

المطلب الثاني : _أسباب الإعداد والتحضير :-

إن الخطيب الذي يحترم نفسه لابد أن يعد لخطبته ، وبخاصة إذا كان في بداية حياته الخطابية ذلك لأن الإعداد يكسب الخطبة قوة الإقناع والاستمالة ، ويجعل الخطيب أقدر علي

---

(١) صـ ١٣٨-١٣٩.

(٢) بهجة النفوس في كيفية اعداد الخطب وإلقاء الدروس د/ ياسر أبو شبانه الرشيدي صـ ١١

(٣) جـ ٢ صـ ٢٥٤

الإحاطة بموضوعه ، وأكثر تأثيراً في السامعين وتشتد الحاجة إلي الإعداد والتحضير لأسباب كثيرة أهمها مايلي :

أ_ إذا كانت معلوماته في الموضوع الذي هو بصدد القول فيه لاتسمح له بالقول علي البداهة ، وإن تكلم قال كلاما لايسمن ولايغني من جوع .

ب ــ إذا كانت عنده – أي الخطيب – فسحة من الوقت ، يستطيع أن يبدي فيها ويعيد ويختار لمعانيه أجود الألفاظ ، ويتجه إلي أقرب الطرق التي يصل منها إلي النفوس ويهز بها القلوب هزاً عنيفا أو رقيقا كما يريد

ج ــ كذلك يعمد إلي الإعداد إذا كان بين قوم يتسقطون هفواته ، ويتبعون سقطاته يحصونها عليه إحصاء ، ويحاسبونه عليها حسابا عسيراً ، فهو يتقدم إليهم بسلاح التحقيق مستنداً علي متكأ من الحقائق ، فلا يسقط إن حاولوا أن يأخذوا عليه مايسقط ، ولايتعثر ، ولاتنزلق قدمه في مزالق الخطر ، لذا كان أكثر خطباء اليونان والرومان يعدون خطبهم قبل إلقائها ، ولايجرؤ واحد منهم مهما تكن ثقته بنفسه قويه ومهما يكن صيته ذائعاً ، ومعروفا باللسن والبيان علي الوقوف من غير سابقة تحضير ، وإلمام تام بما يقول ، خشية أن يأخذ عليه النقاد شيئاً أو يسقط بين أيديهم سقطة لاتقوم له بعدها قائمة .[1]

المطلب الثاني : _طرق الإعداد والتحضير :–

للإعداد طريقان :

أــ إعداد كتابي ب ــ إعداد ذهني

أ. الإعداد الكتابي : _

هو أن يعد الخطيب خطبته مكتوبة في ورقة ، وهذا الإعداد يسبق إلقاء الخطبة بوقت كاف وله طرق عديدة منها :

أــ من الخطباء من يكتب الخطبة في ورقة ، ثم يلقيها علي السامعين وهذه طريقة المبتدئين في مجال الخطباء وأنصح هؤلاء – أي المبتدئين – بان يقرأوا ماسطروه في الورقة عدة

(١) انظر الخطابة وأصولها صـ ١٣٧–١٣٨ بتصرف .

مرات قبل إلقاء الخطبة ، ويضع نقطة بعد انتهاء كل جملة ، وفي أثناء إلقاء الخطبة أيضا يحاول أن يبعد نظره عن الورقة ، وينظر في وجوه السامعين بين آن وآخر ، فإن ذلك يساعد علي التأثير في نفوسهم ، بيد أن هذه الطريقة وهي طريقة إلقاء الخطبة علي السامعين قراءة من الورقة التي دونها الخطيب سلبياتها أكثر من إيجابياتها .

أولاً : السلبيات :_

١ــ إن صوت خطيب الورقة يسير علي وتيرة واحدة وهذا عيب كبير في الخطيب .

٢ــ أن خطيب الورقة مشغول بالنظر فيها خشية الزلل .

٣ــ أن عين خطيب الورقة لاتلتقي بالمستمع الذي يحس بان شخصا آخر يحدثه غير هذا الخطيب الذي يراه أو مذياعا يسمعه ، فإن الناس تسمع بأعينها قبل أن تسمع بإذنها .

٤ــ إذا دعت للاختصار ضرورة طارئة فإن خطيب الورقة لايستطيع ذلك ، لأنه مرتبط بالنص المكتوب ، وقد تكون الحاجة إلي الاختصار اضطراريا .

٥ــ وقد يحدث أمرا طارئا يؤدي إلي تغيير موضوع الخطبة برمته ، كأن يكون خطيب الورقة قد أعد موضوعا عن الزواج مثلا فيفاجأ بجنازة في المسجد ، فيحتاج إلي تغيير الموضوع كلية ... فلايستطيع .

ويترتب علي ذلك : أن الناس في واد وخطيبهم في واد آخر .

٦ــ إن خطيب الورقة لاينفعل مع الموضوع الذي دونه ، ولايحدث بين الخطيب والمستمع أي تجاوب ذلك لأن المستمع يشعر بأن الخطيب ينقل كلاما مكتوبا لافضل له فيه إلا مجرد النقل .

٧ــ إن هيئة خطيب الورقة جامدة لاتتحرك ، وينعكس الجمود علي الموقف كله سآمة وملالة .[1]

٨ــ من سلبيات إلقاء الخطبة بورقة نسيانها في البيت أو ضياعها وهذا يضع الخطيب في حرج شديد .

٩ــ فإن خطبة الورقة بالنسبة للخطبة الارتجالية بمنزلة التلميذ من الأستاذ

---

(١) انظر الخطابة في موكب الدعوة صـ ١٠٣ -١٠٤ بتصرف .

ثانياً : الإيجابيات :_

علي الرغم من أن إلقاء الخطبة مكتوبة في ورقة لهـا سـلبيات إلا أن لهـا بعـض الإيجابيات وهذا من وجهة نظري وهي كالتالي :-

١ــ إن خطبة الورقة محددة في موضوع واحد لا كالخطيب المرتجل فإنه قد يدخل في عـدة موضوعات وهذا في الغالب .

٢ــ إن خطبة الورقة تتحكم في الوقت لا كالخطبة الارتجالية التي قد تطول إلي حـد الملـل والسأم الذي يلحق بالمستمع لأنه كما قيل : القائل أقل ملالة من المستمع .

٣ــ إن خطيب الورقة أقل جهداً من الخطيب المرتجل ، هذا عن سلبيات إلقاء الخطبة بورقة وايجابياتها .

٢ــ من الخطباء من يكتب الخطبة ويرتبها ، ويحكم صياغتها ، ثم يقوم بحفظها حفظا جيـداً إلا أنه أثناء إلقاء الخطبة قد يتهيب الموقف ، فيلقيها من الورقة ، وأقـول لهـؤلاء علـيكم بالجرأة ورباطة الجأش .

٣ــ من الخطباء من يطلع علي الموضوع ، ويدرسه دراسة متأنية ثم يتكلم فيه فيمـا بينـه وبين نفسه في خلوة بعيدا عن الناس بصوت مرتفع ويتمرن علي ذلك فترة غير قصـيرة ، حتي تستقيم له الخطابة ، مراعيا مع ذلك حسن المطالع والمقاطع وقد فعل هـذه الطريقـة كثير من الخطباء قدامي ومحدثين .

٤ــ ومن الخطباء من يكتب الخطبة بأسلوب رصين ، وعبارات قوية ، توصله إلـي إقنـاع السامعين ، ثم يقرأ ماسطره مراراً ، وفي كل مرة ينقحها حتي يعلق بذهنه كثير من معـاني وعبارات الخطبة ، ثم يلقيها بعد ذلك .

ب. الإعداد الذهني :_

وهو أن يفكر الخطيب في إعداد خطبته ذهنياً – أي دون الرجوع إلي النظر في الكتب وبخاصة الكتب التي فيها موضوعات خطابية – بأن يتبع الخطوات التالية ، وهـي خطـوات لها فوائد عظيمة في الإعداد والتحضير ، وإني قد جربتها – وما زلت – كثيراً فـي حيـاتي الخطابية المتواضعة وهاك هي :-

أولاً : يجب علي الخطيب أن يخلو بنفسه لكي يفكر في اختيار موضوع يشغل الناس ويكون قريبا من فكرهم وعقولهم لا أن يأتي لهم بموضوع إما أن يكون مَرّ عليهم كثيراً وسمعوه مراراً وتكرارا كخطب المناسبات المشهورة ، أو موضوع يكون بعيداً عن حياتهم ولايعنيهم في شيء لذا يقول الشيخ / علي محفوظ – رحمه الله تعالي :

من أراد العظة البالغة ، والمقولة المؤثرة ، فليعد إلي المنكرات الفاشية ما كان منها قريب العهد ، وحديثة علي ألسنة الناس أو ذائعا في الصحف ، ثم يقوم من هذه الوقائع أكبرها ضرراً وأسوؤها أثراً ، فيجعله محور خطابته وموضع عظته .... وينبغي أن يكون تفكيره في جو هاديء ، بحيث لايحول بينه وبين حديث النفس ، ومراجعة العقل أي حائل ، كما ينبغي له أن يكون عند التفكير ، والإلقاء فارغا من الشواغل النفسية ، مقللا من الطعام والشراب لاتذهب بطنته بفطنته ، ويكون نشطا خفيف الروح ، حاضر الذهن ، سريع الخاطر، حاضر البديهة [١]

ثانياً :_ فإذا وصل تفكيره إلي اختيار موضوع ما ، عليه :

١ــ أن يحضر المراجع التي سوف يأخذ منها المادة العلمية لهذا الموضوع مع ربطها بواقع الناس .

٢ــ أن يختار لهذا الموضوع بداية طيبة تشير إليه وتخبر عنه ، بحيث يفهم المستمع أن الخطيب سوف يتحدث في موضوع كذا ، وهذه الإشارة ينبغي أن تكون إشارة تلميح لا إشارة تصريح ، حتي يكون المستمع في شوق إلي استماع الموضوع نفسه ، فيشرأب عنقه، ويتوقد ذهنه فلا يلحقه ملل أو نوم أو غير ذلك .

ثالثاً :_ بعد ذلك عليه أن يأخذ في ترتيب عناصر الموضوع عنصراً عنصراً ، وهكذا إلي أن يصل إلي نهايته يقول استأذنا الدكتور / عبدالغفار محمد عزيز – رحمه الله تعالي :

وعلي الخطيب أن يحدد عناصر خطبته ، ويميز كل عنصر علي حدة علي أن يجعل العناصر كلها تتفق وتدور حول موضوع واحد .

---

(١) هداية المرشدين صـ ١٤٦ .

والذي يعين الخطيب في تعيين عناصر موضوعه ، الرجوع إلي المراجع العلمية ، والقراءة فيها قراءة مستوعبة ، هذا بالإضافة إلي عرض الفكرة وعناصرها علي عقله ، وسيصل الخطيب إلي هدفه سريعاً حتي يتضح أمامه الهدف من الموضوع كله ، وسيعينه تدربه علي هذا ذاكرته القوية التي قويت بالمران والممارسة .

ويجب أن تكون العناصر مترابطة ، متسلسلة ، بحيث يرتبط كل عنصر مع صاحبه بلا خلل أو بعد عن الموضوع ، ولذا فعليه ألا يستطرد أكثر مما ينبغي لايخرج عن الموضوع ويبعد السامعين عن التركيز في خطبته[١]

رابعاً : بعد تقسيم الموضوع إليه عناصر عليه أن يفكر في كيف يبدأ الكلام فيه بمقدمة قصيرة ، ثم يأخذ في الدخول في الموضوع حسب ترتيب عناصره في نفسه ، ثم يفكر في اختيار خاتمة تكون مناسبة لموضوعه لاخارجة عنه ، أو مكررة في كل جمعة كما يفعل الكثير من الخطباء في هذا العصر .

خامساً : وبعد التفكير في كل هذا يقوم بتدريب نفسه علي تكوين جمل منسقة تؤدي معني ما فكر فيه ، ويكون ذلك في مكان منعزل يتخيل أنه يخاطب جموعا حاشدة تصغي إلي خطابة ، يقول الشيخ / علي رفاعي – رحمه الله :

ابدأ بالكلام متمهلا مقسما خطابك إلي عبارات في أساليب جزلة سهلة ، كرر هذا العمل عدة مرات في الموضوع الواحد تخطب لنفسك ، وفي كل مرة ستجد أنك أحسن من سابقتها ، وستغير جملا بجمل ، وعبارات بآخري ، ويطول نفسك بعد قصر ، وتكثر في ذهنك الألفاظ والمعاني في موضوع خطابك ، ويتسع أفق تفكيرك فيه ، وتزداد ثقتك بنفسك، فحاول بعد التكرار كما بينت لك أن تلقي هذا الموضوع علي عدد قليل من الناس ثم علي عدد أكبر ، وافعل ذلك في موضوع ثان وثالث ، وتصنع الشجاعة ورباطة الجأش فستجد نفسك بعد زمن قصير أو طويل خطيبا ممتازاً يشار إليه بالبنان ، يخطب في كل مايريد ، ويأسر عواطف الجماهير بسحر بيانه وفصاحة لسانه .

---

(١) الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق صـ١٤٥ .

ثم قال – رحمه الله تعالي :ـ ومن يتصفح كتب الأدب يجد كثيراً من مشاهير خطباء العرب سلكوا هذا المسلك فكانوا يخرجون إلي الفضاء حيث لايراهم أحد ، ويرفعون أصواتهم بما يريدون قوله للناس ، ويكررون ذلك حتي نمت فيهم ملكة الخطابة ، وطارت شهرتهم في كل مكان وعلا ذكرهم ، ودون التاريخ بالفخار خطبهم [١]

وسبحان الله فعلت ذلك في أول حياتي الخطابية ، مع العلم بأني لم أقرأ عن هؤلاء الخطباء المصاقع حيث أعيش في قرية صغيرة آنذاك في جنوب الصعيد [٢] ، وكنت طالباً بالصف الثاني بمعهد الأقصر الثانوي عام ١٩٧٣م. – حيث كنت أغلق علي نفسي حجرتي مرة، ومرة أدخل مسجد قريتي العتيق في عدم وجود مصلّين فيه ، فأغلق أبوابه وشبابيكه ، وأصعد المنبر، وأخطب للأعمدة ، وكررت ذلك مرة ومرات ، وفي كل مرة أتخيل أن الأعمدة جموع من المصلين تصغي إلي خطبتي ، وظللت فترة غير قصيرة علي هذا الحال إلي أن وثقت من مقدرتي صعدت المنبر وخطبت للناس غير هياب ولا وجل ، ومازلت إلي الآن لا أصعد المنبر ولا أخطب في مناسبة من المناسبات إلا أذا أعددت الموضوع إعداداً جيداً ذلك لأن الخطيب الذي يحترم نفسه ، لابد أن يعد موضوعه ، وأن يدرب نفسه عليه حتى يطمئن علي نفسه وعلي موضوعه ، وبهذا يصبح خطيباً له احترامه وتقديره بين الناس ، وموضع إجلالهم وإكبارهم وفخارهم .

---

(١) كيف تكون خطيباً للشيخ / علي رفاعي صـ ١٣-١٤ الطبعة السابعة عام ١٣٩٨هـ مطبعة محمد علي صبيح .

(٢) قرية الرزيقات قبلي مركز أرمنت .

المبحث الثالث

عوامل نجاح الخطبة

إن الاستعداد النفسي والتدريب المتواصل لايصنعان لوحدهما خطيبا بارعا وناجحـــا إلا إذا راعي عدة عوامل جاءت في خمسة مطالب :ـ

المطلب الأول :ـ حسن اختيار الموضوع .

المطلب الثاني :ـ وحدة الموضوع .

المطلب الثالث :ـ مراعاة قواعد النحو .

المطلب الرابع :ـ عدم السير علي وتيرة واحدة .

المطلب الخامس :ـ الإشارات .

هذه العوامل لو طبقها الخطيب تطبيقاً عمليا لأصبح من الخطباء المغـــاوير واللســـن المقاويل . وهاك هي بالتفصيل :-

المطلب الأول :- حسن اختيار الموضوع :-

إن حسن اختيار الموضوع يعد من أهم عوامل نجاح الخطيب ، وذلك لأنه ليس كل موضوع يهم كل أطياف المستمعين لكن الخطيب الماهر عنده من الخبرة والدربة مايساعده علي أن يتناول موضوعا هو أكثر الموضوعات خطورة وبخاصة الموضوعات التي لها صلة وثيقة بحياة الناس وحاضرهم من أجل ذلك يتشوقون إلي سماعها وينتظرون الخطيب في الجمعة التالية علي أحر من الجمر .

فالخطيب الناجح هو طبيب يضع الدواء موضع الداء كما قال عيسي بن مريم عليه السلام :-

" كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء موضع الداء "

وبهذا يكتب لهذا الخطيب النجاح في أداء رسالته .

المطلب الثاني :- وحدة الموضوع :-

بمعني يجب علي الخطيب الذي يريد النجاح في أداء مهمته الخطابية أن يتناول موضوعاً واحداً من جميع جوانبه ، بل إذا كان هذا الموضوع كبيرا بحيث يأخذ وقتا طويلا ، عليه أن يقسمه إلي جمعتين أو أكثر حتي لايمل منه المستمعون بل عليه أن يكون كالطبيب الماهر المتخصص يشخص المرض الحقيقي للمريض ثم يعطيه دواء واحدا أو إثنين علي الأكثر موزعا علي فترات حتي يستفيد منه ، كذلك الخطيب البارع يقسم موضوعه علي فترات حتي يستفيد منه المستمعون لأن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً.

أما الخطبة التي يتناول فيها الخطيب أكثر من موضوع فهذا يدل أولا علي الإفلاس العملي للخطيب ، ويدل ثانيا علي جهله بقواعد وأصول علم الخطابة ، ويكون كالطبيب المبتدئ الذي يعطي للمريض أدوية كثيرة قد يكون منها الضار للمريض أويسبب له أمراضاً أخري .

المطلب الثالث : _مراعاة قواعد اللغة :-

إن اللغة العربية ليست مجرد حروف أو أصوات .

فالإعراب مثلا حركات .. لكنها حركات تدل علي معان .

لذلك ينبغي علي الخطيب أن يهتم بها اهتماما بالغا ، بان يراعي ما توجبه قواعد النحو في آخر الكلمات أو وسطها ، لأن عدم مراعاة ذلك يجعل المستمع في حيرة من الفاعل ومن المفعول به ، قال رجل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه :-

((قتل الناسْ عثمانْ فقال له : بَيّن الفاعل من المفعول رَضّ الله فاك:روي أن الوليد بن عبد الملك " وكان لحاناً " قال لأعرابي شكا إليه ختنا له – أي صهرا له – فقال : من ختنك بفتح النون ، فقال الأعرابي : معذر في الحي – أي حلاق الحي – إذ لم يشك في أنه إنما يسأله عن خاتنه .

فقال له :ما عن هذا أسألك ؟ إنما أسألك عن صهرك، فقال له الأعرابي :

إذن قل : من ختنك بضم النون .

وسأل رجل أعرابيا عن أهله فقال له : كيف أهلك بكسر اللام ، فقال الإعرابي : صلبا – أي تموت مصلوبا– فقال له الرجل ماعن هذا أسألك ، إنما أسألك عن أقربائك – فقال الأعرابي إذن قل : كيف اهلك بضم الكاف .

وقالت ابنة مؤسس قواعد اللغة أبي الأسود الدؤلي وهي تنظر وتتعجب من منظر السماء : ما أحسن السماء بضم النون .

فقال أبوها : نجومها ، فقالت ماعن هذا أسأل ... وإنما أتعجب !

فقال لها :إذن فقولي:ما أحسَن السماء ، بفتح النون–وافتحي فاك

إذن مراعاة قواعد اللغة العربية بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان وصحة الأداء ، وإني أعتبر اللغة العربية في الخطبة كالملح في الطعام فهذا ذوق حسي ، وذاك ذوق معنوي ، هذا فضلا عن حسن أثرها في السماع بل صحة الفهم أيضا ، فالأخطاء اللغوية تحرف المعني ، وتشوه المراد ، ولذلك يمجها الطبع السليم وينفر منها السمع.[١]

وللأسف أن كثيراً من أئمة المساجد والوعاظ في هذه الأيام لايبالون باللغة ولا بمفرداتها فيرفع المنصوب ، وينصب المرفوع والمجرور ، ولا يفرقون بين كان وأخواتها ،

---

(١) انظر الخطابة في موكب الدعوة صـ ٦٢ بتصرف .

أو إن وأخواتها ، وكذلك الحال والتمييز والمضاف والمضاف إليه ، وصيغة منتهي الجموع وغير ذلك من مفردات النحو والصرف .

والأدهى من ذلك أنهم كثيراً مايلحنون في القرآن الكريم ، وهذا ولاشك أنه يؤدي إلي إفساد المعني ، وإخراجه إلي ماينافي الشرع ويناقض العقل .

من ذلك أن إعرابيا صلي خلف إمام يؤم الناس ، فسمعه يقرأ قول الله عز وجل : " ولا تنكحوا المشركين حتي يؤمنوا " بفتح التاء .

قال " ولا إن آمنوا لن ننكحهم " فقيل له إنه يلحن ، فقال : أخروه قبحه الله لاتجعلوه إماما ، فإنه يحل ماحرم الله .

فانظر كيف كان اللحن قالبا للمعني ، مغيراً للمقصد ، والمنطق غير الصحيح ، فوق أنه يفسد المعني ويغير المراد ، يذهب برونق الخطبة وحسن وقعها وجمال تأثيرها [١].

المطلب الرابع :- عدم السير علي وتيرة واحدة :-

هناك بعض الخطباء من يسيرون علي نمط واحد وطريقة واحدة في إلقاء خطبهم من حيث جهارة الصوت أو انخفاضه ، فمنهم يرفع صوته عاليا من أول الخطبة إلي نهايتها، ومنهم من يخفض صوته كأنه يهمس همساً .

فالأول يصيب الجمهور بالصداع هذا فضلا عن أنه يجهد نفسه ويضعف علي المدي البعيد أحباله الصوتية .

والآخر يأتي بالنعاس والسأم للمستمعين، لذا علي الخطيب إذا أراد النجاح لنفسه أن يزاوج في خطبته بأن يدخل في الموضوع في أوله بهدوء ثم بعد ذلك يرفع صوته شيئا فشيئا ، ثم يهدأ من صوته ، ثم يرفعه مرة أخري وهكذا حتي يحرك مشاعر المستمعين ويجذبهم إليه .

وهذا الأسلوب يجب علي الخطيب أن يسير عليه حسبما تقضيه العبارات والألفاظ والمقام ، لايسير اعتباطا ، بل يحاول أن ينفعل مع الموضوع وأن يجذب الجمهور نحوه بأسلوب قوي مؤثر .[٢]

---

(١) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع للمؤلف صـ ٥٢-٥٣.

(٢) المرجع السابق صـ ٣٩ .

المطلب الخامس : _ الإشارات :-

الإشارة لغة منظورة أو لغة متحركة مفهومة ، فإذا قرنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيراً عظيما ، وصوت الخطيب مهما تتغير نبراته ونغماته لايكفي للتعبير عن العواطف كلها ، فلا بد من أن تساعده حركات اليد والرأس والمنكبين ، وملامح الوجه ، ونظرات العنينين وإشارات الحاجب .(١)

والإشارة تخدم الكلام وتقويه ، وبخاصة إذا صادفت وقتها المناسب ومكانها الملائم ، ولذا قيل : رب إشارة أبلغ من عبارة

أما إذا لم تكن ملائمة لموطنها أو زادت عن حدها ، فإن ذلك يؤدي إلي نظرة الاستهزاء والسخرية ، وإلي لون من التهريج والشعوذة .

يقول د/ عبدالجليل شلبي :_إن من الخطباء من يسرف في تلوين صوته وكثرة إشاراته حتي يخرج ذلك بالخطبة عما يراد منها ، بل ويفقدها نهائياً قيمتها ، والخطيب الموفق من يستعمل ذلك في موضعه المناسب بغير إهمال ودون سرف .(٢)

ولم للإشارة من أثر كبير في نجاح الخطبة اهتم بها خطباء العرب حيث كان من عادتهم أنهم يرفعون أيديهم ويضعونها ، ويؤدون بحركاتها كثيراً من إعراضهم ومقاصدهم قصداً لإيقاظ السامعين وتنبيه الغافلين ، وإلقاء الرهبة في القلوب ، والتأثير في النفوس ، فلحركات اليدين أهمية كبري .... إن أردت التأثير في الجمهور فلا ترضهما وتهملهما ... وللأصابع أيضا حركات توافق اليد ، وقد يأتي الإنسان بالإشارة عفوا ، وقد يتعمد الاستعانة بها قرعا للقلوب ، وتنبيها للنفوس ،لأن الصوت مهما كانت طموحاته قد لايكون كافيا للإفادة والإقناع يقول الجاحظ :_

الإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وماتغني عن الخط .

---

(١) فن الخطابة د/ أحمد محمد الحوفي صـ ٢٨- دار الفكر العربي الطبعة الرابعة .
(٢) الخطابة وإعداد الخطيب صـ ٣٤ دار الشروق الطبعة الثالثة عام ١٩٨٧م.

ويقول أيضا : وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ، ومعونة حاضرة في أمور يسترها الناس عن بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس .... هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت " [١] .

هذا ، والإشارة تختلف تبعا لاختلاف المقام ، فإشارة الغضب ليست كإشارة الرضا والاستحسان ، وإشارة اللذة تختلف عن إشارة الألم

وقد تعني الإشارة في توضيح المعني حيث يعجز الإنسان عن التعبير بالألفاظ لمانع يمنعه ، قال الشاعر في دلالات الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم[٢]

شروط الإشارة :_

يشترط في الإشارة مايأتي :_

١ــ أن تشاكل معناها وتوافقه علي أن الشرح الهاديء الرزين لايحتاج إلي كبير إشارة .

٢ــ يحسن أن تسبق الكلام ، وإذا اجتمعت صفتان مثلا ، فالإشارة للصفة الأخيرة.

أنواع الإشارة :_

الإشارة – كما قلنا – هي لغة التفاهم العامة ، أو هي المخاطبة الصامتة

وهي نوعان :_

النوع الأول :_ لا إرادية :_

وهي التي تكون بدافع الإحساس الوقتي للخطيب الذي يثيره موقفه الخطابي ، وذلك كتحرك الحاجبين للدهشة ... أو النظر الشزر عند الاحتقار .

---

(١) البيان والتبيين ١/٤٣-٤٤ .
(٢) المرجع السابق ١/٤٣-٤٤

النوع الثاني : _ إرادية : _

وهي التي يعمد إليها الخطيب للتأثير ، كالإشارة للبعيد ، يرفع اليد إلي أعلي بانحراف ، ونحو ذلك من الإشارات التي يعمد إليها الخطباء للتأثير في نفوس السامعين ، وسواء أكانت الإشارات إرادية أم غير إرادية ، فهي ذات أثر عظيم في ثبيت الكلام وتأكيده لدي السامعين.

أدوات الإشارة : _

يقول الجاحظ : فأما الإشارة فباليد والرأس ، وبالعين والحاجب والمناكب إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب والسيف ، وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون زاجرا رادعا ، ويكون وعيداً وتحذيراً (١)

ويقول د/ أحمد الحوفي :-" وصوت الخطيب مهما تتغير نبراته ونغماته لايكفي للتعبير عن العواطف كلها ، فلا بد من أن تساعده حركات اليد والرأس ، والمنكبين ، وملامح الوجه ونظرات العينين وإشارات الحاجب"

ثم يقول : فمثلا العين المفتوحة تمثل الغيظ أو الخوف أو الإعجاب ، والعين المغلقة تشير إلي التواضع أو البغضاء ، والنظر الشزر يترجم عن الاحتقار والاستهانة والكراهية .

والعين المتحركة يمينا وشمالا تنبيء عن الرياء والاشمئزاز .

والعين المتطلعة إلي السماء ترمز إلي الدعاء ، والنظرة إلي الأرض تعبر عن اليأس أو الخشوع أو الحياء .

والعين المستقرة في نظراتها تفصح عن الشدة والإثبات والرجاء

والعين اللامعة ترجمان عن الظفر .

والوجه كله معبر عن الانفعالات بما يرتسم علي صفحته من خطوط وأشكال ، فارتفاع خطوط الجبهة قليلا يمثل الانتباه ، وارتفاعها كثيراً يرسم الدهشة أو الفرح العظيم أو الألم الأليم ، وانخفاضها يدل علي القلق والتفكير ، والوقفة المعتدلة الناهضة تدل علي

---

(١) المرجع السابق ٤٥/١

التحدي ، والوقفة المنحية تدل علي الحنان والشفقة والاستسلام ، وانطلاق الذراع إلي الأمام ينبيء عن التقدم وعن التهديد وهكذا .... وقد يجد الخطيب من اللائق ألايصرح بلفظ فيشير إشارة تؤدي معناه فتكون أبرع دلالة وأليق بالمقام [١]

وجماع القول :_

إن الإشارات الخطابية حركات تحدث من جسم الخطيب ، ووجهه ورأسه وجوارحه من شأنها تأييد الكلام ، الذي ينطق به وحسنها من تمام حسن البيان باللسان ، وأفضل الإشارات الطبيعية اللطيفة المتوسطة بين غلظة العامة ومبالغة المتصنعين

والخلاصة :_

إن أبلغ الخطب وأوفاها وأنجحها – كما قال بعض العلماء الفضلاء –

((ما وافق الزمان والمكان والحال)).

بمعني أن الخطبة تكون موافقة للزمان مثل زمن الصيام والحج والهجرة والأضحية وغير ذلك ، بحيث لايخطب في شهر رمضان عن الهجرة أو عن الأضحية وهكذا ....

وأيضا تكون الخطبة موافقة للمكان مثل خطب المدينة تختلف عن خطب القرية أو مكان تفرق أهله يخطب في أن الاتحاد قوة ، أو أهملوا تربية أبنائهم وبناتهم حثهم عليها إلي غير ذلك مما يوافق أصولهم ، ويلائم مشاربهم ، ويناسب طباعهم .

وكذلك تكون الخطبة موافقة لحال الناس أو المجتمع الذي يخطب فيهم كأن يكونوا مثقفين أو غير مثقفين ، فقراء أو أغنياء ، أصحاء أو مرضي وهكذا ، فإن جاءت الخطبة موافقة للزمان و المكان والحال ، وأحسن الخطيب اختيار الموضوع ووحدة الموضوع ولم يسر فيه علي وتيرة واحدة ، وراعي فيه قواعد النحو ، واستخدام الإشارات اللازمة كان النجاح حليفها .

---

(١) فن الخطابة د/ أحمد الحوفي صـ٢٨-٢٩ .

وكان الخطيب أيضا شجاعا في موقفه وفي إعلان رأيه ، لايرتعد ولايضـــطرب فـــإذا ماوثق من نفسه ، وعرف مايريد أن يقول ، وعبر عنه تعبيرا خطابيا فنيا فقد حقق الغرض المنشود وهو نجاح الخطبة والخطيب

وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين .

تحريراً في الخميس الموافق : ٢٥ من ذي القعدة : ١٤٣٣ هـــ -

١١ أكتوبر عام ٢٠١٢م.

وكتبه الفقير إلي عفو مولاه

أ.د / حسين محمد محمود عبد المطلب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر قنا

الخاتمة

بعد هذا التطواف الموجز في إلقاء الضوء علي الخطيب أعداد وعلي الخطبة تحضيرا نستخلص النتائج والتوصيات الآتية :ـ

١ـ الخطابة مركب صعب لايصل إليها إلا من كابدها وتحلي بالصبر والجلد .

٢ـ الخطيب ركن أساسي في الخطابة وبدونه لايكون للخطابة أي شأن .

٣ـ من يريد أن يتصدي للخطابة ، لابد أن يكون عنده استعداد نفسي وذهني .

٤ـ الاستعداد والموهبة لوحدهما لايكفيان لنجاح الخطبة وتكوين الخطيب مالم يكن مصحوبا بالتدريب المستمر والمتواصل .

٥ـ أيضا الاستعداد النفسي والموهبة لاوزن لهما في الخطابة ولا تأثير إلا بكثـرة الاطـلاع والقراءة المتواصلة .

٦ـ لابد لنجاح الخطبة أن يكون الخطيب عالماً باحوال ونفسيات مدعويه

٧ـ العناية التامة بالنطق الصحيح والعناية أيضا بالصوت .

٨ـ إن الخطيب الناجح لابد أن يتحلي بضبط النفس واحتمال المكاره .

٩ـ من الأمور الهامة التي يجب علي من يتصدي للخطابة أن يكون سريع البديهة حاضـر الذهن حسن التخلص من المواقف المحرجة التي يتعرض لها بعض الخطباء .

١٠ـ أيضا من الأمور التي تؤدي إلي نجاح الخطبة ، أن يكون الخطيب مؤمنا بقضيته التي يدعو إليها ، معتقداً اعتقاداً جازما بصحتها ، متأثرا بها ، فإنه لايؤثر إلا المتأثر .

١١ـ إن حسن المظهر وجمال الهندام أحد الأسباب المعينة علي نجاح الخطبة والخطيب .

١٢ـ إن الخطيب الذي يحترم نفسه لابد أن يعد لموضوعه أعداد جيداً ، لأنـه لا نجـاح إلا بالمذاكرة ولاحصاد بدون زرع ولاانتصار علي إعداداً دون إعداد وتخطيط .

١٣ــ الإعداد هو التهيئة وبذل الجهد في تجهيز الخطبة من حيث اختيار الموضوع المناسب والقراءة الواسعة في مصادره ومراجعه .

١٤ــ إن حسن اختيار الموضوع زمانا ومكانا وحالا من أهم عوامل نجاح الخطبة .

١٥ــ علي الخطيب أن يهتم اهتماما بالغا بقواعد اللغة العربية بمفرداتها ونحوها وصــرفها لأن الأخطاء اللغوية تشوه المراد وتحرف المعني ويذهب برونق الخطبة وحسن وقعها وجمال تأثيرها .

هذا وبالله التوفيق

المصادر والمراجع

١	القرآن الكريم – جل من أنزلة
٢	أساس البلاغة للزمخشري
٣	البيان والتبيين – للجاحظ
٤	الخطابة الدينية النظرية والتطبيق د/ عبد الغفار محمد عزيز .
٥	الخطابة الدينية بين المنهج والواقع للمؤلف
٦	الخطابة للأستاذ / محمد عبد الخالق الفقي
٧	الخطابة في موكب الدعوة د/ محمود عمارة
٨	الخطابة وأصولها – للإمام محمد أبوزهرة
٩	الخطابة وأعداد الخطيب د/ عبدالجليل شلبي
١٠	الدعوة والخطابة –للأستاذ / علي عبد العظيم
١١	بهجة النفوس في كيفية إعداد الخطبة وإلقاء الدروس د/ ياسر أبو شبانه .
١٢	تاريخ الإمام الطبري .
١٣	تيسير الخطابة للشيخ / أحمد الشهاوي .
١٤	ثقافة الداعية د/ يوسف القرضاوي .
١٥	دراسات في فن الخطابة – د/ جميل الشوادفي .
١٦	الخاطبة – د/ أحمد محمود مبارك .
١٧	سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد – د/محمود علي حماية .
١٨	صحيح الإمام مسلم
١٩	طبقات ابن سعد .
٢٠	فن الخطابة – د/ أحمد الحوفي .
٢١	فن الخطابة وأعداد الخطيب الشيخ / علي محفوظ .
٢٢	قواعد الخطابة – للأستاذ / علي عبد العظيم .
٢٣	كيف تكون خطيباً – للأستاذ / علي رفاعي .

٢٤	كيف تدعو الناس – للأستاذ / عبدالبديع صقر .
٢٥	مسند الإمام أحمد
٢٦	المفردات في غريب القرآن للأصفهاني .
٢٧	هداية المرشدين – للشيخ / علي محفوظ .